تهذيب شرح
العقيدة الطحاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تهذيب شرح العقيدة الطحاوية

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، رب زدني علماً، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

إن هذا الدين مداره على العقيدة، وأساس العقيدة معرفة الله بصفاته وأفعاله وأسمائه، ولذا فقد سمي هذا العلم علم أصول الدين، وسماه أبو حنيفة (الفقه الأكبر)، لأن فقه الفروع الشرعية هو الفقه الأصغر، وبعد معرفة الله وتوحيده بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته تأتي معرفة الأحكام الشرعية كالصلاة والصيام والطهارة، وكذلك وصف النعيم المقيم الذي أعدّه الله للسالكين على جادة الحق، والعذاب الأليم الذي ينتظر المجرمين.

ولا ريب أن الدين -الذي أنزله الله على الأنبياء والذي ختم بالرسالة الخاتمة المنزلة على المصطفى ﷺ- واحد، وفحواه واحد، وهو التوحيد: **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** (الأنبياء:٢٥).

وهذا الوحي روح ونور وهدى وشفاء: **فهو روح:** لأن الحياة الحقة لا تقوم إلا به، فهو حياة القلوب والنفوس.

وهو نور: لأن الاستضاءة لا تكون إلا به، وإلا أظلمت القلوب.

وهدى: فهو وحده الطريق الذي يهدي ويدل على الله.

وشفاء: لأن أمراض القلوب، وسعادة الأرواح، وخلاصها من شقائها لا يتم إلا عن طريقه.

والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً فرض عين على كل واحد، وأما معرفة ما جاء به الرسول ﷺ بالتفصيل فهو فرض على الكفاية، والناس متفاوتون فيما يجب على كل فرد بعينه، وذلك بناء على قدره ومعرفته وطاقته وفهمه[١].

والإسلام يتمثل أولاً في الكتاب والسنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة)، ثم قرأ هذه الآيات: **(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)** (طه:١٢٣)[٢].

ولا يقبل الله ديناً غير الإسلام، أي الذي أنزله على محمد ﷺ، أما قبله فيقبل اتباع أنبيائه الذين وحّدوه **(سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمدلله رب العالمين)** (الصافات:١٨٠-١٨٢).

فقد نزه ذاته العلية عن وصف الكافرين[٣]، ثم سلم على الأنبياء لأنهم وصفوه بصفات الكمال التي أوحـى بهـا إليهم، ثم حمد نفسه على تفرده بالصفات العليا.

وقد نقل الصحابة التوحيد إلى من بعدهم من التابعين وتابعيهم على ألسنة القائمين بالحجة على الخلق، أي العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

١- يعني أن الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً فرض عين عند أول ما يسمع به ﷺ، وهذه الفرصة ضيقة لا يمكن العلم بتفصيل ما يسمع به . أما إذا جاء بعد الإيمان فالإيمان بالتفصيل فرض عين، ولكن الناس متفاوتون في قدر التفصيل (التعليق من الناشر).

٢- شرح العقيدة الطحاوية ص(٦٨).

٣- أي عن وصفهم إياه بالشريك وبما لا يليق به تعالى (من الناشر).

ثم خلف من بعدهم خلف ولعوا بعلم الكلام وغرقوا فيه، واشتغلوا بالتحريف الذي سموه تأويلاً. والتحريف قد يصل درجة الكفر، وقد يكون فسقاً أو معصية أو خطأ[1].

شريعة سيدنا محمد ﷺ

خاتمة ومهيمنة وكاملة وعامة للثقلين

أقسم رب العزة قائلاً: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** (النساء: ٦٥) ، وبين سبحانه أن الإعراض عن شريعته وحب التحاكم إلى غيرها نفاق، ولا بد من محاولة معرفة الشريعة واعتقادها، ومحاولة العمل بها، وتشجيع من يلتزمها.

ولا بد أن نعلم أن معرفة أصول الدين لا تحتاج إلى علم الكلام كالفلسفة والمنطق. بل يكره الخوض في علم الكلام.

قال أبو يوسف لبشر المريسي: (العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل زنديق) وقال: (من طلب العلم بالكلام فقد تزندق).

وقال الإمام الشافعي: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام).

وقال الشافعي:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

التوحيد دعوة الرسل أجمعين:

لو سرنا مع الركب الرباني –الذي يقوده نوح وهود وصالح ومحمد ﷺ أجمعين– لوجدنا هؤلاء الحداة يرددون للبشرية كلمة واحدة وهي قوام رسالاتهم: **(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)** (الأعراف: ٥٩) ، **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)**. الأنبياء: ٢٥

فالشهادة بالوحدانية، والشهادة بنبوة المصطفى ﷺ هي الباب الوحيد الذي يدخل به الداخل للإسلام، وهي آخر كلمة يفارق بها الدنيا: **(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)**[2].

ولذا فلقد ابتدأت البشرية أولى خطواتها على هذه الأرض بالتوحيد، وليس كما يقول علماء الأديان المقارنة أن البشرية في المراحل البدائية كانت تعبد آلهة متعددة، ثم كلما ترقت قلت آلهتها حتى انتهت البشرية بالتوحيد.

أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل صلى الله عليهم وسلم:

لقد دعا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى ثلاثة أنواع من التوحيد:

١- **توحيد الربوبية:** (توحيد المعرفة والإثبات)، وهو الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون، قادر على كل شيء، رازق، يحيي، ويميت، وبيده الأمر...

٢- **توحيد الصفات والأسماء:** أن تثبت لله عز وجل الأسماء والصفات التي أثبتها لذاته العلية.

٣- **توحيد الألوهية أو الإلهية:** (توحيد العبودية لله عزوجل، وهو توحيد القصد والطلب) ويتضمن فعل المأمور وترك المحظور.

وكثير من علماء التوحيد جمعوا النوع الأول والثاني في اسم واحد وهو توحيد الربوبية، لأن توحيد الصفات هو معرفة وإثبات صفات الكمال لله عز وجل.

---

١ ص(٧٠) هذا الرقم وجدناه هكذا في حاشية الأصل ولا نعلم ماذا قصد به المؤلف، والراجح أنه يشير إلى ص(٧٠) من شرح الطحاوية والله أعلم (من الناشر)

٢ حديث حسن صحيح رواه الحاكم وغيره، أنظر العقيدة الطحاوية (٧٥).

وتوحيد الربوبية قد أقر به المشركون الأوائل بنصوص كثيرة من القرآن: **(قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)** (يونس: ٣١) والواو في **(فسيقولون)** تعني المشركين.

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (لقمان:٢٥).

وكلمة عبدالمطلب لأبرهة مشهورة: (إن للبيت رباً يحميه).

وأنشد عبدالمطلب:

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وجحود الخالق البتة ما ورد في أذهان المشركين القدماء، وإنما ورد على لسان فرعون ما يشي بأنه أنكر الخالق بلسانه، وإن كان يقر به في أعماقه. **(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)** (النمل: ١٤)، فلقد قال فرعون: **(وما رب العالمين)** فقال موسى:

(رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون) (الشعراء:٢٤-٢٥).

إنما كان النزاع حول توحيد الألوهية (توحيد العبودية لله وحده): **(أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب)** (ص: ٥)، **(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون)** النمل: ٥٩.

(أإله مع الله بل هم قوم يعدلون... أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون... أإله مع الله قليلاً ما تذكرون... أإله مع الله تعالى الله عما يشركون... أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (النمل ٥٩-٦٤).

ولقد كانت المعركة لإثبات توحيد الألوهية حامية الوطيس مع المشركين، وتولى رب العزة إدارة المعركة، فأفرد لها صفحات كثيرة من كتابه العزيز.

يقول ابن تيمية في رسالة الحسنة والسيئة ص(٢٦٢): (وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين). **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** (النساء: ٤٨)

شرك العرب:

وكانت بداية الشرك في جزيرة العرب أنهم نقلوا أصنام قوم نوح: **(وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا)** (نوح: ٢٣).

وقد ثبت في البخاري عن ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

ومن هنا نهى الشارع عن بناء القبور والدعاء عندها والتمسح بها، حتى لا يفضي الأمر إلى الشرك كما حصل مع قوم نوح.

ففي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: **[أمرني ألا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته]**.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: **[لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد]** يحذر مما فعلوا. قالت عائشة رضي الله عنها: **[ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً]**[1].

والعرب كانوا يعبدون الأصنام ليتقربوا إلى الله كما حكى عنهم القرآن: **(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)** (الزمر: ٣)

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (يونس:١٨).

وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وليس العكس: **(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** (الروم: ٣٠).[2]

١-شرح العقيدة الطحاوية ص(٨٠). ٢-شرح العقيدة الطحاوية ص(٨١).

ولذا فتوحيد الألوهية -وهي عبادة الله وحده لا شريك له- لا بد أن تتضمن توحيد الربوبية، لأن توحيد الألوهية يقتضي معرفة الله وصفاته وقدرته حتى يعبده، وتوحيد الألوهية يتلخص في كلمتين: **(إياك نعبد وإياك نستعين)** (الفاتحة: ٥)، **(عليه توكلت وإليه أنيب)** (هود: ٨٨) ، وقد تكرر الجمع بين العبادة والاستعانة (أي الإنابة والتوكل) سبع مرات في القرآن **(ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون)** (هود:١٢٣).

ولقد أقام رب العزة الشواهد على توحيد الألوهية بكلمات موجزة مفحمة للحس البشري، ومن ذلك قوله: **(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)** (المؤمنون:٩١).

فالإله لا بد أن يكون قادراً على الخلق، فلو التقى إلهان خالقان لكان لا بد من حصول واحدة من ثلاث:

١- إما أن يقهر أحدهما الآخر، فالمقهور لا يمكن أن يكون إلهاً.

٢- وإما أن يعلو بعضهم على بعض، فالأعلى هو الإله دون الأسفل.

٣- وإما أن يستقل كل إله بخلقه وملكه.

ولكن انتظام الكون، ودقة تسييره، وإحكام تدبيره يدل قطعاً على إله واحد متفرد بالخلق والتدبير (وهذا توحيد ربوبيه)، وتفرد الإله بالأمر يستدعي تفرده بكونه أحق مَنْ يعبد (وهذا توحيد ألوهيه).

وباختصار: فمدار ما في القرآن كله على التوحيد.

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو: التوحيد العلمي الخبري (الربوبيه). وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي (الألوهيه). وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما يفعل بهم في الدنيا من العذاب، وما ينتظرهم من الجحيم، فهو جزاء من خرج على حكم التوحيد.

شهادة التوحيد:

شهادة التوحيد تعني: **(لا إله إلا الله)**، وقد شهد الله لذاته بها: **(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام)**(آل عمران:١٨-١٩).

ومعنى شهد لغة: لا يتعدى حكم وقضى وأعلم وبيَّن وأخبر، والحق أن الشهادة تجمعها جميعاً، فهي تتضمن الخبر والإعلام والتبيين، ولها أربع مراتب:

١- العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به، ويدل على هذا الآية: **(إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)** (الزخرف: ٨٦).

٢- التكلم بالشهادة (بما علم) ولو بينه وبين نفسه: **(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون)** (الزخرف:١٩).

٣- إعلام الغير بها وإخباره: والإعلام إما بالفعل، كبناء دار وجعل لها مؤذناً وإماماً وأذن للناس بالصلاة فيها، فهذا دليل (شهادة) على وقفها، ويدل عليه قوله تعالى: **(ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر)** (التوبة: ١٧)، فهذه شهادة بالفعل، والكون شهادة عملية على وحدانية الله:

وفي كل شيء له آية تدل علـى أنه واحد

وإما يكون الإخبار بالقول.

٤- أن يلزمه بمضمونها ويأمره بها.

وشهادة التوحيد تضمنت المعاني الأربعة، فقد حكم الله بها وأخبر وقضى وأمر بها فقال: **(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)** (الإسراء: ٢٣)

(لا تجعل مع الله إلهاً آخر) (الإسراء:٢٢)[١]

١- شرح العقيدة الطحاوية ص(٩٢).

ثم انظر أي مقام هذا الذي رفع إليه العلماء أن يشهدوا مع الملائكة لله بالوحدانية، وأن تقرن شهادتهم بشهادة رب الع والملائكة.

والإنسان مفطور على التوحيد، وعلى محبة الله، والاستسلام له ذلاً وانقياداً وإنابة، ولذا فقد كان ﷺ يعلم أصحابه أن يقو إذا أصبحوا: {**أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان المشركين**}(1).

فملة إبراهيم التوحيد، ودين محمد ما جاء به من عند الله قولاً واعتقاداً وعملاً، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا ا وفطرة الإسلام هي ما فطر عليه الإنسان من التوحيد والمحبة لله عز وجل والذل والانقياد له.

ويشهد لهذه الفطرة الموحدة قوله ﷺ: {**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**}(2). وقوله ﷺ فـ يرويه عن ربه: {**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**}(3) ولذا لم يقل أو يسلمانه.

فالقلوب مفطورة على حب إلهها وفاطرها وتأليهه، فصرف ذلك التأله والمحبة إلى غيره تغيير للفطرة، فالإنسان يخلق مسـ يحب إلهه: (**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**). (الروم: ٣٠). فالخلق يخلقون على الفط ثم يأتي تغيير الفطرة من الخلق، وليس من الخالق، كما في الحديث: {**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها**}. فالجدع -أي قطع الأنـ أو الأذن- إنما يأتي من البشر، وهذا مصداق قوله تعالى في الميثاق على الفطرة: (**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرية وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**) (الأعراف:١٧٢).

ويجب التنبيه هنا إلى ادعاء بعض الصوفية تقسيم التوحيد إلى توحيد عامة وتوحيد خاصة وتوحيد خاصة الخاصة، وهذا أصل له من كتاب ولا سنة، بل إن توحيد خاصة الخاصة عندهم قد يفضي إلى القول بالحلول والاتحاد والفناء.

إسمع قول أبي إسماعيل الأنصاري (شيخ الإسلام) كما يقول شارح الطحاوية:

ما وحد الواحد من واحد	*إذ كل من وحده جاحد*
توحيد من ينطق عن نعته	عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده	ونعت من ينعته لاحد

يقول شارح الطحاوية: (هذا وإن كان قائله رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظاً مجملاً محتملاً جذبه به الاتحادي إ وأقسم بالله جهد أيمانه أنه معه..)(4).

وكلمة التوحيد هي (لا إله إلا الله) فهي نفي (لا إله) وإثبات (إلا الله)، وهي كقوله عز وجل: (**وإلهكم إله واحد**) (البقرة: ١٦٣) أتبعها رب العزة قائلاً: (**لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**). لأنه -والله أعلم- قد يخطر خاطر شيطاني: هب أن إلهنا واحد فلغيرنا غيره، فقال تعالى: (**لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**).

وإعراب: (لا إله إلا الله) (لا): نافية للجنس، (إله): إسم لا النافية للجنس مبني على الفتح، وخبرها محذوف تقديره: موج (إلا): أداة حصر.

صفات الله -عز وجل-

الواجب في حقه تعالى

اعتاد علماء التوحيد أن يذكروا في مصنفاتهم أن الواجب في حقه تعالى عشرون صفة وهي أربعة أنواع:

أ- الصفات النفسية: وهي صفة واحدة: الوجود.

١- حديث صحيح أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٣/٥)، أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص(٩٧).

٢- متفق عليه من حديث أبي هريرة، أنظر شرح الطحاوية ص(٨٢).

٣- رواه مسلم عن عياض بن حمار، أنظر شرح الطحاوية ص(٨٢).

٤- شرح الطحاوية ص(٩٨).

ب- الصفات السلبية: وهي خمس: (القدم، البقاء، مخالفته للحوادث، قيامه تعالى بذاته، الوحدانية).

قال البيجوري في شرحه على السنوسية ص(١٦): (وإنما نسبت للسلب لأنها مفسرة به، إذ القدم سلب أولية الوجود، والبقاء سلب آخرية الوجود، والمخالفة للحوادث سلب المماثلة لها، والقيام بالنفس سلب الافتقار، والوحدانية سلب التعدد).

جـ- صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بذاته تعالى تستلزم حكماً معيناً له، فالعلم مثلاً يستلزم أن يكون المتصف به عليماً، وهي سبعة: (العلم، الإرادة، القدرة، السمع، البصر، الكلام، الحياة).

وقد أثبت أهل السنة هذه الصفات السبع، وإضافة بعض صفة ثامنة، وهي صفة التكوين، وقد استدل أهل السنة بأن كون الله عليماً يستدعي أن يكون لديه صفة العلم، وبصيراً يستلزم أن يكون قيام البصر بذاته تعالى، لأن المشتق يؤذن (يعلن) بمصدر الاشتقاق.

وأما المعتزلة فقد أنكروا هذه الصفات قائلين: ليس له صفات زائدة على الذات هي القدرة والكلام والإرادة؛ بل الله قادر بذاته، عالم بذاته فليس إلا الذات فقط.

ولذا فقد رد عليهم أهل السنة كأبي حنيفة في الفقه الأكبر إذ يقول: (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل، قادراً بقدرته والقدرة صفة بالأزل)(١).

د- الصفات المعنوية: وهي الصفات التي تتبع صفات المعاني وهي سبع: (عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلم، حي).

وهذه الصفات العشرون هي واجب في حقه تعالى.

المستحيل في حقه تعالى:

يستحيل في حقه تعالى كل صفة نقص، ولذا فالمستحيل يقابل الواجب في حقه تعالى، وعلى هذا فيستحيل في حقه تعالى أضداد الصفات العشرين السابقة:

١- فالوجود يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي العدم.

٢- والقدم يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الحدوث.

٣- البقاء يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي طروء العدم.

٤- مخالفته للحوادث يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي المماثلة للحوادث.

٥- القيام بالنفس يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي ألا يكون قائماً بنفسه.

٦- الوحدانية يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي التعدد.

٧- القدرة يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي العجز.

٨- الإرادة يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الذهول والغفلة.

٩- العلم يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الجهل.

١٠- الحياة يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الموت.

١١- البصر يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي العمى.

١٢- السمع يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي الصمم.

١٣- الكلام يقابله صفة مستحيلة في حق الله تعالى وهي البكم.

الجائز في حقه تعالى:

يجوز في حقه تعالى إضلال من يشاء وهداية من يشاء، ورزق من يشاء وحرمان من يشاء.

١- شرح الفقه الأكبر ص(١١).

شرح بعض الصفات:

١- لا شيء مثله: (مخالفته للحوادث).

اتفق أهل السنة أن الله لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو تعالى ليس جسماً ولا متصلاً بجسم، ولا حالاً في جهة، وليس مركباً من أجزاء، ولا يحده زمان، وليس متصفاً بصغر ولا كبر في الحجم، ولا يتصف بحركة ولا سكون، ولا يتصف باليمين ولا بالشمال ولا بالأمام أو الخلف.

ومن الأدلة النقلية على هذه الصفة: **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** (الشورى: ١١)، فالشطر الأول: رد على المشبهة الذين يقولون أن لله يداً كأيدينا. والشطر الثاني: رد على المعطلة الذين ينفون صفات الله وينكرون السمع والبصر له.

وكلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل، وتقديره ليس مثله شيء، وقيل المثل زيادة، وتقديره (ليس كهو شيء)، كقوله تعالى: **(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به)**، وهذا لأن المراد نفي المثلية، ويمكن أن يكون التعبير للمبالغة بالكناية لأنهم يقولون: مثلك لا يجبن، أي أنك لا تجبن[١].

وقال بعضهم: إن الكاف زائدة لزيادة التأكيد في نفي المماثلة، كقول العرب: كلمني بلسان كمثل السنان، أي مثل السنان.

قال البيهقي: (فلما أراد الله أن ينفي التشبيه على آكد ما يكون من النفي جمع في قراءتنا بين حروف التشبيه وأسماء التشبيه حتى يكون النفي مؤكداً على المبالغة)[٢].

قيل للحسن البصري (صف لنا ربك، قال نعم، أصفه بغير مثال **(ليس كمثله شيء)**، وقال بعض المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات، وزاد الواسطي رحمه الله فقال: (ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ)[٣].

وقد نص أبو حنيفة في الفقه الأكبر على الإثبات ونفي التشبيه معاً فقال: (يرى لا كرؤيتنا، ويعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا).

ويقول الطحاوي: (ولا يشبه الأنام)[٤].

ولقد أفتى الإمام مالك بأن من قال السميع البصير ثم أشار إلى أذنه أو عينه يقطع ذلك العضو منه، ألا ترى أن البراء بن مالك عندما قال: أربع لا تقبل في الضحايا وأشار بيده قال ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ.

يقول ابن القيم:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا … *إن المشبه عابد الأوثان*

كلا ولا نخليه عن أوصافه … *إن المعطل عابد البهتان*

قال بعض العلماء: (المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً)[٥].

قال الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقي -شارح قصيدة ابن القيم (١/٢٥٤)-: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات صفات الله تعالى التي ورد بها الكتاب وصحيح السنة وحسنها، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، خلافاً للجهمية والمعتزلة والأشاعرة، والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي -شيخ البخاري-: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله تشبيها).

قال الطحاوي في العقيدة ص(١٤٤): (ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه).

ولقد سمى الله نفسه رؤوفاً رحيماً، وسمى رسول الله ﷺ رؤوفاً رحيماً فقال: **(بالمؤمنين رؤوف رحيم)**، وليس في التسمية تشبيهاً، إذ شتان ما بين الخالق والمخلوق، والله منزه عن مشاركة المخلوق في خصائصه.

١- مذكرة في التوحيد لحسن متولي ص(٤٩).
٢- أنظر الأسماء والصفات للبيهقي ص(٢٧٨).
٣- تفسير القرطبي (١٦/٩).
٤- شرح الطحاوية ص(١٢١).
٥- روضة الندية ص(٢١).

قال إسحاق بن راهويه: (من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم)[1].

قال ابن تيمية: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل)[2].

وعن ابن عباس في قوله تعالى، وله المثل الأعلى، قال: يقول: **(ليس كمثله شيء)**، وفي قوله تعالى: **(هل تعلم له سميا)**

(مريم: ٦٥)

يقول: هل تعلم للرب شبهاً أو مثلاً.

ولقد بالغ المعتزلة والمعطلة في تعطيل الصفات، حتى أشار ابن أبي دؤاد المعتزلي -وزير المأمون- على المأمون أن يكتب على ستر الكعبة **(ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم)** بدل وهو السميع البصير.

وقال جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: **(الرحمن على العرش استوى)** (طه: ٥). فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

إعراب (ليس كمثله شيء):

في إعرابها وجوه:

الوجه الأول: أن الكاف زائدة، وبذا تكون (كمثله) مجرورة لفظاً منصوبة محلاً لأنها خبر ليس، وشيء: اسم ليس، والتقدير **(ليس مثله شيء)** كقول الشاعر: (أصبحت مثل كعصف مأكول).

الوجه الثاني: أن كلمة مثل زائدة، ويكون المعنى (ليس كهو شيء) وهذا بعيد، لأن زيادة الحرف أولى من زيادة الاسم.

٢- ولا شيء يعجزه (القدرة).

القدرة: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة[3]. **(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً)**(فاطر: ٤٤)، **(إن الله على كل شيء قدير)**(البقرة: ٢٠)، **(وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)** (البقرة: ٢٥٥). ومعنى (لا يؤوده): لا يثقله ولا يعجزه، فهذا النفي لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده. كقوله تعالى: **(ولا يظلم ربك أحداً)**

(الكهف: ٤٩)

لكمال عدله، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً.

قال الأستاذ أبو إسحاق: (من أسامي صفات الذات ما يعود إلى القدرة، منها القاهر: ومعناه الغالب، ومنها القهار: ومعناه الذي لا يُقصد إلا ويَغلب، ومنها القوي: ومعناه المتمكن من كل مراد، ومنها القادر بإثبات القدرة، ومنها المقتدر الذي لا يرده شيء عن المراد، ومنها ذو القوة المتين لنفي النهاية في القدرة، وفي بعض الأخبار: جاء ذكر الغلاب الذي يكره على ما يريد ولا يكره على ما يراد).

وحسبك من معرفة الصفات دافعاً للعمل، وتربية العزة في قلب المؤمن، عندما يعلم أن خالقه قادر على كل شيء فكيف يلجأ لغيره أو يذل؟ **(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)** (الأعراف: ١٩٥-١٩٦).

جاء في حديث الاستخارة: عن جابر رضي الله عنه قال: **(كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: (اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وان كنت تعلم أن هذا الأمر**

١- شرح الطحاوية ص(١٢١).

٢- الروضة الندية ص(٢١).

٣- مذكرة التوحيد لحسن متولي ص(٤٤).

شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به}، قال ويسمي حاجته)[1] .

٣- قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء

(القدم والبقاء)

ومعنى القدم: عدم أولية الوجود.

والبقاء: عدم آخرية الوجود، وهذه العبارة تتضمن صفتين لله عز وجل: ١- القدم. ٢- البقاء.

وكان الأولى أن يقال: أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، كما قال القرآن الكريم: **{هو الأول والآخر والظاهر والباطن}** (الحديد: ٣).

وفي صحيح مسلم (٧٨/٨): **{اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء}**.

ومعرفة هاتين الصفتين مستقر في الفطرة، إذ أن المخلوق لا بد له من خالق، والحادث لا بد له من محدث، وكل المخلوقات غير ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجوبها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال الله تعالى: **{أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون}** (الطور: ٣٥).

ما ثبت قدمه استحال عدمه:

ولذا فقطعاً للتسلسل فلا بد من الإيمان بذات واجبة الوجود، فلو فرضنا أن الخالق -سبحانه- خلقه خالق، ثم الخالق خلقه خالق لكان تسلسلاً، وعلينا أن ننتبه أن القديم ليس من أسماء الله تعالى، فإن القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره، فالقديم هو العتيق. **{حتى عاد كالعرجون القديم}** (يس: ٣٩). والعرجون القديم: هو الذي يبقى حتى يخرج العرجون الثاني. وقد أنكر كثير من السلف والخلف -ومنهم ابن حزم- إدخال اسم القديم في أسماء الله.

وفي الحديث الصحيح في البخاري عن عمران بن الحصين قال ﷺ: **{كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء}** وفي رواية **{ولم يكن شيء قبله}**.

قال ابن القيم:

والله كان وليس شيء غيره ... وبرى البرية وهو ذو حدثان[2]

ومن الأدلة على البقاء قوله تعالى: **{كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}** (الرحمن: ٢٦-٢٧).

٤- الحي القيوم

ودليل هاتين الصفتين قوله تعالى: **{الله لا إله إلا هو الحي القيوم}** (البقرة: ٢٥٥).

{وعنت الوجوه للحي القيوم}، ومعنى القيوم: المبالغ في القيام بتدبير خلقه، ولأمر ما نرى بعدها **{لا تأخذه سنة ولا نوم}**، دليل القيام.

ولأجل هذا جاء الحديث بأن الحي القيوم هما اسما الله الأعظم، فقد روى أبو داود والترمذي وصححه ابن ماجة وحسنه من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **{اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن**

١- رواه البخاري.

٢- شرح قصيدة ابن القيم (٢٨٥/١).

الرحيم) (البقرة: ١٦٣)، (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (آل عمران: ١-٢)).[١]

بل لقد قال ابن القيم: إن الأوصاف كلها ترجع إلى هذين الوصفين، فيقول في النونية:

وله الحياة كمالها فلأجل ذا ... ما للممات عليه من سلطان
وكذلك القيوم من أوصافـه ... ما للمنام لديه من غشيان
وكذاك أوصاف الكمال جميعها ... ثبتت له ومدارها الوصفان
فمصحح الأوصاف والأفعال ... والأسماء حقاً ذانك الوصفان

وهذا شيء بديهي، لأن المتصف بالقدرة والعلم والسمع والبصر تجب له الحياة، وحاشا لواهب الحياة ألا يكون حياً، ومن ذا الذي يدبر شؤون السموات والأرض، ومن الذي يحور الأفلاك ويسير الأملاك، فكيف ينام؟ {إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام}[٢].

ولفظ القيّوم أبلغ من القيّام، لأن الواو أقوى من الألف، ومعنى القيوم أنه يقوم بنفسه باتفاق جميع المفسرين، ولكن هل تفيد إقامته لغيره؟ فيه قولان أصحهما أنها تفيد إقامته للغير، ولفظ القيّوم متضمن كمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، ويدل القيوم على الأزلية والأبدية، فهو سبحانه لا يغيب ولا ينقص ولا يفنى ولا يعدم بل هو الدائم الباقي، واقتران القيوم بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ومن هنا كانت آية الكرسي (الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم) أعظم آية في القرآن كما في صحيح مسلم عن أبيّ بن كعب[٣].

٥- الخالق الرزاق

ومن صفاته عز وجل (الخلق والرزق). (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (الذاريات: ٥٦-٥٨)، (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم) (الأنعام: ١٤)، (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) (هود: ٦)، قال الطحاوي: (خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة)[٤] والمؤنة هي المشقة والثقل.

٦- محيي ومميت

(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (الملك: ٢).

(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي).

يقول الطحاوي ص(١٢٦): (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة).

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: {يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار}[٥].

صفات الله أزلية أبدية:

إن الله عز وجل يتصف بصفات الكمال العليا، وله الأسماء الحسنى، لأنه إن لم يكن متصفاً بها فهذا يعني أنه كان ناقصاً -سبحانه وتعالى- ثم حصل له الكمال من بعد، وهذا ينطبق على صفات الله عز وجل بأنواعها الثلاثة:

١- الذاتية: كالقدرة والحياة والسمع والبصر.

١- شرح قصيدة ابن القيم (١/٢٦٠).

٢- رواه مسلم، أنظر شرح الطحاوية ص(١٢٣).

٣- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٢٥).

٤- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٢٥).

٥- متفق عليه.

٢- الفعلية: كالتخليق والترزيق.

٣- الإختيارية: كالرضا والغضب والاستواء.

فالله عز وجل خالق قبل الخلق، وله صفة الترزيق قبل أن يرزق، يقول أبو حنيفة في الفقه الأكبر ص(١٤): (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلاً لفعله والفعل صفة في الأزل).

ومعنى لم يزل: فيما كان، ولا يزال: فيما يكون.

ويقول الطحاوي ص(١٢٧): (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق)، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم (الباريء)).

القضاء والقدر:

الإيمان بالقدر أحد أركان العقيدة الإسلامية، وهو الركن السادس للإيمان، وإذا تخلف الإيمان بالقدر تخلف الإيمان عن الوجود، وخرج المرء الكافر بالقدر من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، ففي حديث عمر -الذي رواه مسلم في سؤال رسول الله ﷺ لجبريل- فأخبرني عن الإيمان قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[1].

وقد أخذ الناس وأعطوا في القدر وضلت أقوام وهلكت بسببه، ونرجو الله أن يعصمنا الزلل، أن يهدينا جميعاً سواء السبيل.

تعريف القضاء والقدر:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلها شيئاً واحداً، ومنهم من عرف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر فقال: القدر: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل[2].

القضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

ومنهم من عرفها تعريفاً واحداً، فقال: هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها[3]، وما أجمل رد الإمام أحمد عندما سئل عن القدر فقال: (القدر قدرة الرحمن)، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد، يقول ابن القيم[4] في قصيدته الكافية الشافية:

فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضى الرباني

والحق أن تعريف أحمد قد كفى وشفى، فالقدر يعني: **(قل إن الأمر كله لله)** (آل عمران: ١٥٤)، **(إليه يرجع الأمر كله)** . (هود: ١٢٣).

وأن الله: **(بيده ملكوت كل شيء)** (يس: ٨٣)، **(يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه)** (يونس: ٣).

ولا يحدث شيء في الكون إلا بإرادته ومشيئته، وعقيدة القدر مبنية على صفات الله الحسنى، ومنها: العلم والقدرة والإرادة. **(وهو بكل شيء عليم)** (البقرة: ٢٩)، **(وهو على كل شيء قدير)** (الحديد: ٢)، **(فعّال لما يريد)** (البروج: ١٦).

قال الطحاوي في عقيدته[5]: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره).

١- أنظر شرح قصيدة ابن القيم (٢٥٦/١)، رواه الإمام مسلم عن عمر.

٢- تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب ص(٧٧).

٣- العقائد لسيد سابق ص(٩٥).

٤- شرح قصيدة ابن القيم (٢٥٤/١).

٥- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٥٣)

معنى الإيمان بالقدر:

يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ونعني بالإيمان بالقدر الإيمان بدرجاته (مراتبه الأربع)[1]:

١- علم الله القديم (الأزلي) لكل شيء، وأنه قد علم أعمال العباد قبل أن يعملوها. **(واعلموا أن الله بكل شيء عليم)** (البقرة: ٢٣١).

وعلم أحوال العباد وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم.

٢- كتابة الله لكل شيء في اللوح المحفوظ. **(ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)** (الحج: ٧٠).

٣- مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. **(لتعلموا أن الله على كل شيء قدير)**(الطلاق: ١٢).

٤- خلق الله لكل شيء. **(الله خالق كل شيء)** (الزمر: ٦٢)، **(والله خلقكم وما تعملون)**(الصافات: ٩٦).

ويعنون بالحلاوة والمرارة مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشر يرجع إلى حسن العاقبة وسوئها، فهو حلو ومر في بدايته، خير وشر في عاقبته. والحلاوة العاجلة غالباً تعقب ألماً، والمرارة العاجلة تخلف سعادة.

وأما الإيمان بالقدر خيره وشره وذلك بإضافته إلى الناس والمخلوقات. أما بالنسبة لله عز وجل فالقدر خير كله، والشر لا ينسب إلى الله[2]. فعلم الله ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء والحوادث فهذه كلها حكمة وعدل ورحمة وخير. فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا أفعاله، ولا يلحق ذاته تبارك وتعالى نقص ولا شر، فله الكمال المطلق والجلال التام[3]. وفي الحديث **{والشر ليس إليك}**[4].

مع اعتقادنا أن الله خالق الخير والشر لما له في ذلك من حكمة، ولكن لا يضاف الشر إلى الله مفرداً، بل إما أن يدخل الشر في العموم كقوله تعالى: **(الله خالق كل شيء)** (الزمر: ٦٢). أو يضاف إلى السبب. **(قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق)** (الفلق: ١-٢).

أو بحذف فاعله: كقول الله عز وجل فيما حكاه عن الجن: **(وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً)** (الجن: ١٠).

فالمرض مثلاً شر ومصيبة بالنسبة للإنسان عاجلاً، لكنه خير في الآجل، ولكنه خير بالنسبة لله عز وجل لما يعلم ما يعقبه المرض من مغفرة للذنوب وتطهير للأجساد.

وسجن أعداء الله للمؤمنين شر في ظاهره لما فيه من آلام ومحن، ولكنه تمحيص للنفوس وتطهير للصفوف وتربية للأرواح، فضلاً عن الثواب الجزيل والخير العميم الذي ينتظرهم.

وخلق إبليس فيه من الحكم الكثيرة؛ كتوبة البشر بعد الزلل، وكذلك عبودية جهاد إبليس وحزبه، والصبر على إغرائه وإغوائه، والالتجاء إلى حمى الله واللياذ بركنه الركين.

وقد ذكر ابن القيم في مدارج السالكين (١٩٤/٢) الحكم الكثيرة المترتبة على خلق إبليس منها:

١-أن تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات -التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر- في مقابلة ذات جبريل التي هي أشرف الذوات، وأطهرها وأزكاها، وهذا من أكبر الأدلة على كمال قدرته.

٢- ظهور آثار أسمائه القهرية مثل (القهار، المنتقم، العدل، شديد العقاب) فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات، ولو كان الناس جميعاً على طبيعة الملائكة لما ظهر أثر الأسماء والأفعال.

٣- ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه، ومغفرته وستره، وتجاوزه عن حقه.

٤- ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة: فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها.

١- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية.

٢- أنظر الروضة الندية (٣٥٦)، وشرح العقيدة الطحاوية، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٩٤/٨-٩٥).

٣- أنظر تيسير العزيز الحميد (٦٢٥).

٤- أنظر كتاب الحسنة والسيئة لابن تيمية صفحة (١٩٠).

٥- حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، ولكان الحاصل بعضها لا كلها، منها:

أ- عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية، من الموالاة والمحبة في الله، والبغض في الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- عبودية التوبة والرجوع إلى الله واستغفاره.

جـ- عبوديته بمخالفة عدوه والاستعاذة منه.

د- الحذر من الغرور والاتعاظ.

هـ- ظهور كثير من الآيات والدلائل على قدرة الله، كالطوفان والريح وإهلاك ثمود وقوم لوط.

فالحسنة مضافة إلى الله من كل وجه، وأما السيئة فهي مضافه إلى الله لأنه خلقها كما خلق الحسنة.

احتجاج المشركين بالقدر:

احتج المشركون بالقدر تبريراً لكفرهم، ففي سورة الأنعام: **{سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين}**(الأنعام١٤٨-١٤٩).

ولكن الله عز وجل سمى هذا الادعاء كذباً وخرصاً وافتراء عليه، هذه الحجة الواهية الداحضة بالحجة البالغة بأن الله قادر على أن يهدي الناس أجمعين.

وقد ترد هذ الشبهة على أذهان المسلمين فيقولون: إذا كان الله قد كتب كل شيء وقدره ففيم العمل؟

وقد جاء في الصحيحين عن عمران بن الحصين قال: {إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: **{اقبلوا البشرى يا بني تميم}** قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: **{اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم}** قالوا: قبلنا، جئنا نتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، كتب في الذكر كل شيء}[١].

وقد روى البخاري[٢] بسنده عن علي رضي الله عنه قال: **{كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق الله}.**

يقول ابن كثير[٣] عند آيات: **{فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى}** (الليل: ٥-٧)، (والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدور).

ولتجلية هذه القضية في الأذهان علينا أن نضع بعض المعالم في هذا الطريق:

١ - عدل الله المطلق: **{ولا يظلم ربك أحداً}**، فهو: **{فعال لما يريد}**، ولكنه عادل بر رحيم، لا يمكن أن يقهر نفساً على المعاصي ثم يعذبها.

٢- التكليف متناسب مع الطاقة: **{لا يكلف الله نفساً إلا وسعها}**(البقرة: ٢٨٦) فلو كان الإنسان مجبوراً على الذنوب المكتوبة عليه لما كلفه بواجبات، ولا فرض عليه فروضاً، ولا زجره عن المعاصي.

٣- كتب الله عز وجل أعمال العباد بالوصف لا بالحكم: ما قال كن لأنه حكم، ولكن كتابته بالوصف أي فلان يعمل كذا وكذا.

وقد ضرب الأستاذ شعراوي مثلاً جميلاً فقال: كما لو جاءني ضيف فأرسلت ابني لشراء فاكهة وأعطيته نقوداً، فتأخر الولد فقلت للضيف: إن سبب تأخره هو وجود أبناء الجيران يلعبون في ساحة فقد انشغل معهم، وعندما عاد الولد فإذا بالأمر كما توقعت

١- الروضة الندية (٣٦٩).

٢- تفسير ابن كثير في سورة الليل (٥١٨/٤).

٣- تفسير ابن كثير (٥١٨/٤).

مع أنني لم أجبر الولد على اللعب ولم أرضه منه[١].

ولله المثل الأعلى، فهو يعلم ما سيفعل العباد فكتب ما سيفعلونه دون قهرهم عليه.

٤- التفريق بين المشيئة والإرادة من جهة وبين المحبة والرضا من جهة أخرى: فالله عز وجل يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولكن لا يرضاه ولا يحبه[٢]، فيشاؤه، كوناً ولا يرضاه ديناً. وفي التنزيل: **(وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول)**(النساء: ١٠٨). فأخبر أنه لا يرضى قولهم مع أنه قدره وقضاه[٣].

وكذلك يقول عز وجل: **(إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم)**(الزمر: ٧).

وما أجمل حوار أبي إسحق الإسفراييني مع عبد الجبار الهمداني المعتزلي في حضرة الصاحب بن عباد (قال القاضي عبدالجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء. فقال الأستاذ الإسفراييني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال القاضي: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى عليّ بالردى، أحسن إليّ أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فبهت القاضي)[٤].

وقد جاء في تاريخ الطبري: أن هشام بن عبد الملك استقدم ميمون بن مهران لمناقشة غيلان الدمشقي، فقال غيلان: أشاء الله أن يعصى؟ فقال له ميمون: أفعصي كارها[٥].

ومما يروى أن أعرابياً وقف على حلقة فيها عمرو بن عبيد المعتزلي فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعو الله أن يردها علي، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت فارددها عليه! فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخاف -كما أراد أن لا تسرق فسرقت- أن يريد ردها فلا ترد[٦].

جاء في الطحاوية (يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله)[٧].

٥- الإنسان موهوب قسطاً من الحرية يختار بعقله وإرادته الفعل، ويناط به التكليف، ويبنى على هذا القسط من الحرية الثواب والعقاب.

فالإنسان يشبه النبات والحيوان في بعض الصفات، كالحاجة إلى الطعام والشراب والهواء وما يتبع هذه العمليات من عمليات فسيولوجية؛ كالهضم وتوزيع الغذاء والأكسدة. ففي هذه الأشياء الإنسان ليس له إرادة ولا حرية، فهو مسير على نظام إلهي لا يتخلف شعرة، ولا يستطيع الإنسان أن يُعدّل في عمليات الهضم والتنفس أو أن يوجه أجهزتها، ولو حاول لحطم كيانه كله.

أما فيما يفترق الإنسان فيه عن الحيوان. كالفكر: الذي يختار به الفعل أو يتركه، فهنا للإنسان إرادة وحرية ناط به الله الثواب والعقاب. وقد ضل المبتدعة في هذه القضية بين إفراط وتفريط.

فالقدرية والمعتزلة: يرون أن العبد يخلق أفعاله ويعملها دون مشيئته وقدرته، ولذا سموا بمجوس هذه الأمة، وقد رأينا نماذج من أقوالهم كقول عمرو بن عبيد وغيلان الدمشقي والقاضي عبدالجبار. فالمعاصي ليست مرضية لله عز وجل ولا مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته، وقد سموا مجوس هذه الأمة لتشابه آرائهم مع دين المجوس الذين يرون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلام، وكذلك القدرية فهم يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره، مع أن الله سبحانه خالق الخير والشر، ولا يكون شيء منهما إلا بمشيئته.

١- القضاء والقدر للشعراوي (٥٩).

٢- شرح الطحاوية (٢٧٧)، ومجموع الفتاوى (٨/١٥٩).

٣- الروضة الندية (٢٧٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٩٨)، والعقائد الإسلامية لسيد سابق (١٠٤).

٤- شرح الطحاوية (٢٧٨) على مسند أحمد (٨/١٧٨) رقم (٥٨٨١).

٥- شرح الطحاوية (٢٧٨)، نقلاً عن حاشية احمد شاكر.

٦ - شرح الطحاوية (٢٧٨).

٧- شرح الطحاوية (١٥٥).

والجبرية أتباع جهم:

ينفون فعل العبد أصلا ويقولون انه مجبر على أفعاله، وأن فعله نفس فعل الله[1]، وإنما نسبة الأفعال للأشخاص كنسبة الاهتزاز للأغصان، مع أن الفاعل حقيقة هو الريح، وقد ضل بعض الصوفية في هذا فرأى أن كل ما يحدث في الكون يرضا الله فهو طاعة، وقال بعضهم: (إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته)، وقال ابن إسرائيل[2]:

أصبحت منفعلا لما تختاره ... مني ففعلي كله طاعات

فلم يعد في نظرهم فرق بين شرب الخمر وقيام الليل.

عقيدة أهل السنة بالقدر:

أما أهل السنة فهم وسط بين الجبرية والقدرية، فهم يقولون: للعبد قدرة وإرادة وفعل وهبها الله له لتكون أفعاله حقيقة لا مجازاً، مع اعتقادهم أن الله خالق كل شيء[3].

قال البغوي في شرح السنة: (الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها، وكتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم)[4].

فالعباد -في عقيدة أهل السنة- فاعلون حقيقة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، يقول ابن القيم[5]:

وعموم قدرته تدل بأنه ... خلق الأفعال الحيوان

هي خلقه حقاً وأفعال لهم ... حقاً ولا يتناقض الأمران

لكن أهل الجبر والتكذيب ... بالأقدار ما انفتحت لهم عينان

ويقول ابن تيمية: (مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو: أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء في الوجود إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر أرزاقهم وأجالهم وأعمالهم، وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون)[6].

وقد استدل أهل السنة على مذهبهم بقوله عز وجل: **(لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)**(التكوير: ٢٨-٢٩). فالآية الأولى رد على الجبرية الذين ينفون إرادة العبد ومشيئته. والآية الثانية رد على القدرية الذين يرون أن مشيئة العبد مستقلة في إيجاد الفعل ولا شأن لإرادة الله في الأفعال.

ولكل من الآيتين عبودية: فعبودية الأولى هي بذل أقصى الجهد، واستفراغ الطاقة والوسع من أجل العبادة والإنابة والاستقامة، وعبودية الآية الثانية: هي التوكل على الله، واللجوء إليه، والتضرع إليه من أجل التوفيق والهداية والإنابة[7].

٦- خفاء القدر وكراهية الخوض فيه:

العقل البشري محدود، خلقه الله لعمارة الأرض ولصلاح الإنسان. ولذا فإن بعض قضايا الغيب ليس له أمامها إلا التسليم والإيمان. ومن هذه القضايا الصلة بين خلق الله للأفعال وإرادة الإنسان وقدرته وفعله لهذه الأفعال، وليست هذه هي القضية الغيبية الوحيدة التي لا يدرك كنهها. فصفات الله عز وجل ندرك آثارها ولا ندرك حقيقتها، شأنها شأن الذات الإلهية التي لا يستطيع العقل البشري إدراكها[8]، وإن كانوا يرون آياتها.

١- شرح العقيدة الواسطية لمصطفى العالم (٧٢).

٢- الروضة الندية (٣٦١)، ومجموعة الفتاوى (٢٥٧/٨).

٣- شرح العقيدة الواسطية لمصطفى العالم (٧٣).

٤- تيسير العزيز الحميد (كتاب التوحيد) (٦١٩).

٥- شرح قصيدة ابن القيم (٢٥٤/١) وكذلك الأسئلة والأجوبة الأصولية (٢٣٢).

٦- تيسير العزيز الحميد (٦٢٠).

٧- الروضة الندية شرح الواسطية (٣٨١).

٨- تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب.

ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن الخوض في القدر والتعمق فيه، فقد أخرج الإمام أحمد بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: {خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ! بهذا هلك من كان قبلكم}[١].

وروى الطبراني بسند حسن من حديث ابن مسعود مرفوعاً: {إذا ذكر القدر فأمسكوا}.

وقد روى الترمذي وأبو داود عن نافع قال: (كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليّ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: {سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر})[٢].

وقد جاء رجل علياً رضي الله عنه فسأله عن القدر فقال: (طريق مظلم فلا تسلكه، قال: أخبرني عن القدر، قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: أخبرني عن القدر، قال: سر الله فلا تكلفه)[٣].

يقول جعفر الصادق[٤]: (إن الله تعالى أراد بنا أشياء وأراد منا أشياء، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا).

يقول الطحاوي: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (الأنبياء: ٢٣). فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين).

ولله -عز وجل- الحكمة البالغة في خفاء الأقدار كالأجل مثلاً، فمن أيقن أن موته في اليوم التالي فإن أعماله تتعطل وفكره يشل، وتجارته تتوقف، ولكن ليعمر الله الأرض وحتى تنطلق الطاقات كلها من أجل استمرار الحياة البشرية أخفى الله المقادير عن البشر.

عقيدة القدر بناءة إيجابية:

ذكرنا سابقاً أن الإيمان بالقدر ركن أساسي من العقيدة الإسلامية، ولا يؤمن مؤمن حتى يسلم للقضاء والقدر ويرضى به، ويعتقد أن كل حادث إنما هو بقضاء الله، وأنه لحكمة، وإنه رحمة، وإنه العدل.

وقد بني هذا الدين على التسليم لحكمة الله وإرادته، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي، وكذلك كان أصحاب الأنبياء، فإن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به[٥].

وهكذا كان الصحب الكرام، فقد كانوا شديدي الأدب مع ربهم ومع رسول الله ﷺ، وهم كما يقول ابن عباس: (ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض)[٦].

وقد أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب[٧].

عن ابن الديلمي: أتيت أبي بن كعب فقلت له: قد وقع في نفسي شيء من القدر؛ فحدثني لعل الله أن يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك[٨].

١- صحيح رواه أحمد بسند جيد وابن ماجة، أنظر شرح الطحاوية (٢٨٩).

٢- سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنة (٧/١٦)، أنظر جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٢/٣٢٤).

٣- تيسير العزيز الحميد (٦٢٠)، والعقائد لسيد سابق (٩٩)، والشريعة للآجري (٢٠٢).

٤- إملاءات في العقيدة للدكتور محمد أمين المصري.

٥- شرح الطحاوية (٢٩١).

٦- أعلام الموقعين (١/٥٩).

٧- شفاء العليل (٤١) نقلاً عن الروضة الندية (٣٦٤).

٨- رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد والطبراني وابن حبان، وفي إسناده سعيد بن سنان الشيباني وثقه ابن معين وتكلم فيه أحمد وغيره، أنظر تخريج السنن (٧/٦٦)، أنظر جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٢/٢٦٨)، وكتاب الشريعة للآجري (٢٠٣)، وصحيح الجامع الصغير (ج٥ص٥٧-٥٨).

وعن عبادة بن الصامت قال لابنه عند الموت: يا بني إنك لم تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: **{إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة}**. يا بني إني سمعت النبي ﷺ يقول: **{من مات على غير هذا فليس مني}**(١).

وقد انطلق الصحابة في الأرض وهم يحملون عقيدة القدر كما علمهم إياها رسول الله ﷺ، فقد قال لابن عباس: **{يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف}**(٢).

هذه العقيدة سكبت في قلوبهم السكينة، وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وربت في أعماقهم العزة، فارتاحت أعصابهم وهم منطلقون لتبليغ هذا الدين إلى البشرية، وقد استصغروا قوى الأرض جميعاً أمام عقيدة القدر التي لخصها سلمان الفارسي(٣) عندما سئل (ما قول الناس حتى تؤمن بالقدر خيره وشره؟ قال: حتى تؤمن بالقدر، تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك)، ولم يكن هذا قول سلمان فحسب وإنما هو قول جلة الصحابة.

أية سعادة تضفيها على النفس هذه العقيدة! إن قوى الأرض جميعاً لا تقف أمام إنسان يحمل هذا المبدأ، ويكنّ بين طياته هذا الإيمان، ومن هنا نجد التفسير الصحيح للأعمال التي حققها هذا الإيمان على يد العصبة المؤمنة التي انطلقت بهذا الدين. إنها أعمال تشبه الخوارق ولكنها حقائق، ويكاد المرء وهو يدرس سيرة ذلك الركب الكريم يحسب أن الأمر ضرب من الأساطير، وأنه نسج من الخيال، وأحلام يقظة تدركها الأشواق وتقصر دونها الأفعال، ولكنها الحقائق التي دبت فوق المعمورة حياة وسلوكاً وأخلاقاً وبناءً وإنشاءً...(وهي المرة الوحيدة التي تخرج فيها أمة من بين دفتي كتاب، وتنطلق حياة من خلال كلمات)(٤).

فإذا كان الإنسان ينعم بهذه العقيدة ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الأمة لو اجتمعت لن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، بالإضافة إلى الاعتقاد الجازم بضمان الرزق والأجل، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.. وما أحسن قول المثنى الأنباري الحنبلي: (لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين، وبرزقه غير راضين)(٥).

إذا كان يعتقد بهذا فكيف تنحني جبهته لأية قوة على الأرض؟! وكيف تذل نفسه لعبد من تراب؟ ولذا فقد كان أحدهم أو إحداهن كرابعة العدوية يعبر عن استصغاره للأرض بقوله:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

قال ابن رجب(٦): (لمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟ **{إن هذا لشيء عجاب}**).

ودعك عن الرضا الذي تنعم به النفس بحيث ترى أن المقادير تجري بأمر الله ومشيئته وتدبيره، ولم تصبه صدفة ولا فلتة، وإنما الأحداث تنبثق بحكمة الله وإرادته، وهو يعلم والناس لا يعلمون. **(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** (البقرة:٢١٦).

فالله الذي جعل الأمر يصيبه، أو الحزن والوصب والضر يمسه حكيم ورحيم. ولذا فكل ما يصيب المؤمن هو خير له، وفيه راحة وطمأنينة لذاته، وفي صحيح مسلم(٧) **{عجباً للمؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له}**.

١- رواه أبو داود، جمع الفوائد (٢/٣٢٨)، وكتاب الشريعة (٢١١).

٢- رواه الترمذي وقال حسن صحيح. جمع الفوائد (٢/٣٢٩).

٣- الشريعة للآجري (٢٠٦).

٤- في ظلال القرآن (٣/٥).

٥- تيسير العزيز الحميد (٤٣٦).

٦- جامع العلوم والحكم (٣٨٥).

٧- رواه مسلم وأحمد عن صهيب. أنظر رياض الصالحين (٣١).

فالمؤمن ينظر إلى مصدر المصيبة -أنها من الله- فيطمئن ويرضى، وهو أكثر أدباً من أن يعترض على مولاه وخالقه وينظر إلى عاقبة المصيبة ومآلها من الثواب فيرضى ويصبر.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: {**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة ابتلي على قدر ذلك، وإن كان فيه رقة هون عليه، فما يزال البلاء بالرجل حتى يدعه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة**} وأخرجه أيضاً أحمد والنسائي وابن ماجة، وقد عبر عن ذلك ابن القيم أجمل تعبير فقال:

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها ‏ ‏ صبر الكريم فإنه بك أكرم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ‏ ‏ تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

وهذا علقمة[1] يفسر قوله تعالى: (**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه**) (التغابن: ١١). فيقول: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، وقال ابن عباس: يهد قلبه اليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وقد ارتفعت نفوسهم في ظلال هذا التصور الإيماني، وسمت أرواحهم ورهفت ضمائرهم حتى استوت في نظرهم السراء والضراء، وتماثل لديهم الشكر والصبر. كما يقول عمر[2] رضي الله عنه: (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما أركب). ويقول أبو محمد الحريري[3]: (الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما). وقال عمرو بن عثمان المكي[4]: (الصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة). ولله در القائل:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر ‏ ‏ والدهر ذو دول والرزق مقسوم

والخير أجمع فيما اختار خالقنا ‏ ‏ وفي اختيار سواه اللوم والشوم[5]

وقد سئل الإمام أحمد[6]: عن الرجل يكون معه مائة ألف دينار هل يكون زاهداً؟ قال: نعم، بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت.

وقال بعض السلف[7]: الزاهد من لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره، وكتب عمر بن الخطاب[8] إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: (أما بعد فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر).

وقال أبو عثمان الحيري[9]: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، وما نقلني إلى غيره فسخطته. وقال ابن عطاء[10]: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل.

والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله، والرضا قيل أنه واجب وقيل هو مستحب، وقد أجمع العلماء على أنه مستحب مؤكد استحبابه، واختلفوا في وجوبه على قولين، وذكر ابن تيمية القولين لأصحاب أحمد[11].

ويحكى أن امرأة عابدة[12] عثرت فانقطعت إصبعها فضحكت، فسئلت عن سبب الضحك فقالت: حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها. وقال عمر بن الخطاب[13]: وجدنا خير عيشنا بالصبر.

وقال ابن مسعود[14]: أن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

وقال عبد الواحد بن زيد[15]: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة

١- أثر صحيح رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة. أنظر تيسير العزيز الحميد (٤٥٣).

٢- عدة الصابرين لابن القيم (٩٠). ‏ ‏ ٣- عدة الصابرين (٩).

٤- عدة الصابرين (٩). ‏ ‏ ٥- مدارج السالكين (٢/٤٢٥).

٦- عدة الصابرين (٢٣٠). ‏ ‏ ٧- عدة الصابرين (٢٣٦).

٨- مدارج السالكين (٢/١٧٧). ‏ ‏ ٩- مدارج السالكين (٢/١٧٧).

١٠- مدارج السالكين (٢/١٧٥). ‏ ‏ ١١- مدراج السالكين (٢/١٧١)، والروضة الندية (٤٨٩).

١٢- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

١٣- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

١٤- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

١٥- أنظر الروضة الندية (٤٨٦) ومدارج السالكين (٢/١٦٧)، وجامع العلوم والحكم (١٧٠).

المبتلي وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء فينسيهم ألم المقضي به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظة صدوره من حبيبهم.

وسئل بعض التابعين[(١)] عن حاله في مرضه فقال: أحبه إليه أحبه إليّ. وقال بعضهم:

عذابه فيـــك عــذب	وبعـــــده فيك قرب
وأنت عندي كـروحي	بل أنت منها أحب
حسبي من الحب أني	لما تحـــب أحـــب

وقد يرتفع الإيمان بالقدر في نفس المؤمن حتى يصبح القدر وإن كان مصيبة سروراً، وقد عبر عن هذا عمر بن عبدالعزيز أجمل تعبير فقال: (أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر).

وترى اللفتة الموحية، والتعبير العميق للرضا بالقدر من خلال قول أحدهم[(٢)]:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة	فقد سرني أني خطرت ببالكا

وقد كان عمران بن الحصين رضي الله عنه استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره مدة طويلة لا يقوم ولا يقعد، وقد نقب له في سريره موضع لحاجته، فدخل عليه مُطرف بن عبد الله الشخير فجعل يبكي لما رآه من حاله، فقال له: عمران لم تبكي؟ فقال لأني أراك على هذه الحال الفظيعة، فقال: لا تبكي فإن أحبه إلي أحبه إليه، وقال: أخبرك بشيء لعل الله أن ينفعك به، وأكتم عليّ حتى أموت، إن الملائكة تزورني فأنس بها وتسلم عليّ فأسمع تسليمها[(٣)].

إن الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والطمأنينة إلى حكم الله عز وجل لهي أهم القواعد التي يقام على أساسها السكن النفسي، وهي من أبرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقة البشرية للعمل في هذه الأرض ضمن منهج الله، فلا التفات إلى الوراء، ولا محطات للتحسر والندم -لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل-، ثم الهدوء القلبي، والراحة البدنية والنفسية والعصبية، ومفارقة الهم والحزن فراق غير وامق، فلا تمزق نفسي، ولا توتر عصبي، ولا شذوذ، ولا انفصام، وإنما هو الهدوء والسكينة والرضا والسعادة والراحة والطمأنينة، وبرد اليقين، وقرة العين، وهناءة الضمير، وانشراح الصدر، (والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله، وإلى حكمته وعلمه، هو وحده الملاذ الأمين، والنجوة من الهواجس والوساوس، ومن ثم عشت في ظلال القرآن، هادىء النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير... أي طمأنينة ينشئها هذا التصور؟ وأي سكينة يفيضها على القلب؟ وأي ثقة في الحق والخير والصلاح؟ وأي قوة واستعلاء على الواقع الصغير يسكبها في الضمير؟ لقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً في تاريخها، ونكبة قاصمة في حياتها، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيراً في كل ما ألمّ بها من نكبات)[(٤)].

إن التصور الإسلامي، والاعتقاد بعقيدة القدر ينشيء نظافة في السلوك، ورفعة في الاهتمام، وعلواً في الخلق، واستقامة في الحياة، وسعادة في العيش، وراحة في الضمير، وطمأنينة في القلب، ونتائج إيجابية هائلة في واقع الناس، وفوق هذه الأرض.

وأما المجتمعات التي تركت عقيدة القدر، وفرغت من الإيمان بالله وتدبيره لشؤون الحياة والأحياء، فاسألها عن تمزق أعصابها، وضياع سعادتها، وضنك عيشها، وتوتر حياتها، ففي نيويورك مثلاً يدخل شخص من بين كل اثنين وعشرين شخصاً مستشفى عقلياً، والمجانين فيها (٣٤٠) ألفاً، والمصروعون (٨١٥٨٠)، ومطلقي السراح بكلمة الشرف (١٠٩٣٠)، وضعاف العقول نصف مليون، وأطفال منخفضي الذكاء (٤٠٠) ألف، ولا تسأل عن القلق النفسي الذي أدى إلى الأرقام المذهلة من الانتحار والجرائم والطلاق والولوغ في الدنس الجنسي؛ ففي السويد نسبة الطلاق (٦٠٪)، وفي أمريكا تضرب الأمهات أولادهن ضرباً مبرحاً يصل إلى درجة القتل بمعدل (١٢،٠ر - ٢١،٠ر) -أي ما يعادل (٢،٥-٤) مليون واقعة من هذا النوع في العام والواحد-.

وفي أمريكا جرائم الأحداث ارتفعت بمعدل (٣٠٠٪) خلال العشرة أعوام الأخيرة، وفي ألمانيا الغربية مليون امرأة تتعاطى السحاق، وفيها (٣) ملايين مصاب بالصديد التناسلي، ونسبة التعرض للإصابة بأحد مرضى الزهري والسيلان القيحي بين الشباب الأمريكيين في سن (٢٥) عاماً تصل إلى (٥٠٪)، وفي العالم اليوم سبعون مليوناً من المصابين بمرض السيلان القيحي[(٥)].

١- أثر صحيح رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة، انظر تيسير العزيز الحميد (٤٥٢). ٢- مدارج السالكين (١٦٨/٢). ٣- مدارج السالكين (٢٢٧).

٤- مقدمة في ظلال القرآن لسيد قطب. ٥- مجلة الرائد عدد (١٦) التي تصدر من آخن نقلاً عن دير شبيجل الألمانية في (٧٥/١/٢١).

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب:

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله عز وجل، والإيمان أن بيده ملكوت كل شيء، والإيمان أن الأسباب لا تعطي النتائج، بل الذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار، فمن أراد النسل الصالح فلا بد أن يتخذ لذلك سبباً وهو الزواج الشرعي، ولكن الزواج الشرعي قد يعطي الثمار وهي النسل، وقد لا يعطي حسب إرادة العزيز الحكيم، ومشيئة اللطيف الخبير. **{يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير}**

(الشورى: ٤٩).

ولذا فلو ترك الإنسان الأخذ بالأسباب لأثم، مع أن الأسباب لا تعطي النتائج، فلو ترك الإنسان السعي في طلب الرزق لكان آثماً، مع أن الرزق بيد الله (واعلم أن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره)، (وقد بين ﷺ أن الأسباب المخلوقة والمشروعة هي من القدر، فقيل له: أرأيت رقى نسترقي بها، وتقى نتقي بها، وأدوية نتداوى بها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: **{هي من قدر الله}** (فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع)[1].

لذا فقد أمر النبي ﷺ بالتداوي، فقد روى أصحاب السنن عن أسامة بن شريك قال: **{أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت، ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم}**[2].

ولذا فقد استحب الشافعية التداوي، بل أكد الحنفية الاستحباب حتى أوصله بعضهم إلى الوجوب.

(وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه حرام، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب)[3].

روى البخاري[4] أن عمر رضي الله عنه لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأجناد، وأخبروه بانتشار الوباء فيها، فاستشار المهاجرين والأنصار، ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش، فاجتمع المهاجرة على الرجوع بعداً عن الوباء، وأمر بذلك عمر، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟).

ولذا فقد بكّت عمر بن الخطاب جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد، فذمهم، قال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ثم يتوكل على الله)[5].

يقول ابن القيم: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة (الأخذ بالأسباب) فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته[6].

يقول ابن دقيق العيد: (إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف، وإن كان من المجاز الشاذ فالحق تركه، وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية، والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين)[7].

قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!

وقال ابن مسعود: (ما من قوم يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لهم)[8].

١- مجموعة فتاوى ابن تيمية (٨/٥٢٨).

٢- شرح الطحاوية (٢٠١).

٣- رواه الأربعة وقال الترمذي حسن صحيح انظر مختصر أبي داوود (٥/٣٤٦).

٤- فتح الباري (١٠/١٥٠-١٥١).

٥- جامع العلوم والحكم (٣٨٤).

٦- مدارج السالكين (٢/١١٦).

٧- (فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان) (٩٦).

٨- مجموع الفتاوى (٦/٥٩).

شروط العمل بخبر الواحد

اشترط الحنفية للعمل بالخبر ما يلي:

١- ألا يكون الحديث مخالفاً للقياس والأصـــول الشرعية إذا كان الراوي له غير معروف بالفقه والاجتهاد، وممن عرف من الصحابة بالفقه عندهم عبدالله بن عباس وابن مسعود والخلفاء الأربعة.

وإن كان الصحابي قد عرف بالرواية فقط ولم يعرف بالإجتهاد فيرد حديثه، فردوا حديث المصراة لأن أبا هريرة رواه: (لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظر من بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها ورد معها صاعاً من تمر) وذلك لأنه مخالف لقاعدة ضمان المتلفات ولقاعدة الخراج بالضمان، ولكن هذا مردود من ناحيتين:

أ- عمل الحنفية بحديث {**من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه**}. قال أبو حنيفة: (لولا الرواية لقلت بالقياس).

ب- حديث المصراة رواه البخاري عن ابن مسعود، والصحيح أن هذا الحديث لم يصل أئمة الحنفية، والحق أن الذي قال بهذا الشرط عيسى بن ابان تلميذ محمد بن الحسن وتبعه الدبوسي والمتأخرون.

٢- ألا يخالف عمل الراوي ظاهر الحديث، وهذا خلاف الجمهور الذين يأخذون بظاهر الحديث لأننا متعبدون بالرواية لا بالرأي، فقال الحنفية بعدم وجوب غسل السبع لولوغ الكلب لأن أبا هريرة الراوي كان يفتي بجواز الثلاث.

٣- ألا يخالف نص الكتاب: القضاء بالشاهد واليمين مخالفاً: (**شهيدين من رجالكم**)(البقرة: ٢٨٢).

٤- ألا يعرض عنه أئمة الصحابة كحديث {**ابتغوا في أموال اليتامى خيراً كيلا تأكلها الصدقة**}.

٥- ألا تعم به البلوى، مثال حديث أبي هريرة بالجهر بالبسملة، ورفع اليدين في الصلاة، ومس الذكر، والوضوء مما مست النار، وهذه كلها مردودة لأن الصحابة أخذوا بحديث عائشة في الغسل من الإيلاج، ورافع بن خديج في المخابرة والمزارعة.

٦- ألا يخالف القياس -عند مالك- أو الأصول أو معنى الأصول عند الحنفية، وهذا مردود، فعمر رضي الله عنه رجع إلى حديث المغيرة ومحمد بن مسلمة في غرة الجنين، وإلى التسوية بين دية الأصابع -عشر من الإبل-، ولكن الحنفية عملوا بحديث القهقهة مع مخالفته للقياس، والمالكية أخذوا بحديث المصراة مع مخالفته للقياس.

حديث ربيعة بن عبدالرحمن عن سعيد بن المسيب الذي رواه مالك والبيهقي دية إصبع المرأة عشرة، اثنان عشرون، ثلاثة ثلاثون، أربعة عشرون.

ويقبل خبر الواحد في الحدود وما يسقط بالشبهات خلافاً للكرخي.

المرســـل:

يؤخذ به عند الجمهور خلافاً للشافعية، يؤخذ بالحديث وإن خالف عمل أهل المدينة.

ولهذا رد الشافعي حديث عائشة قالت: {**أهدي لحفصة طعام وكنا صائمتين فأفطرنا، ثم دخل رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله إنا أهديت لنا هدية واشتهيناها فأفطرنا، فقال رسول الله: لا عليكما صوماً مكانه يوما آخر**}. لأنه حديث مرسل رواه الزهري عن عائشة ولم يسمع منها وإنما سمعه من عروة، ولكنه أخذ بحديث الزهري عن سعيد بن المسيب من أن رسول الله ﷺ قال: {**لا يغلق الرهن من رهنه، له غنمه، وعليه غرمه**} فالرهن أمانة في يد المرتهن في مذهب الشافعي.

الحديث المشهور:

ما كان من الآحاد في القرن الأول ثم نقله قوم لا يتوهم اتفاقهم على الكذب في القرن الثاني والثالث -التابعين وتابعي التابعين-. ولا عبرة بالاشتهار بعدها.

وحكمه يقيد به مطلق الكتاب: كحديث ماعز بالرجم قيد مطلق الآية (الزانية)، وحديث المسح على الخفين قيد الرجلين، والتتابع في كفارة اليمين، وقطع اليد إلى الكوعين -الرسغين- لا إلى المرفقين.

اشترط المالكية موافقة الحديث لعمل أهل المدينة، ردوا حديث خيار المجلس [البيعان بالخيار ما لم يتفرقا].

قال مالك بعد رواية الحديث: (وليس لهذا حدّ معروف -أي مدة معلومة- ولا أمر معمول به فيه أي مخالف لعمل أهل المدينة)[1]. ويكتفي الإمام مالك بتسليمة واحدة أخذا بعمل أهل المدينة.

كذلك يشترط المالكية ألا يخالف الحديث القياس:

عن مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: (سألت سعيد بن المسيب: كم في أصبع المرأة؟ فقال: عشر من الإبل، فقلت: كم في إصبعين؟ قال: عشرون من الإبل، فقلت: كم في ثلاث؟ فقال: ثلاثون من الإبل، فقلت: كم في أربع؟ قال: عشرون من الإبل، فقلت: حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها، فقال سعيد: أعراقي أنت؟ فقلت: بل عالم متثبت، أو جاهل متعلم، فقال سعيد: هي السنة يا ابن أخي).

قال مالك: الأمر عندنا في أصابع الكف إذا قطعت فقد تم عقلها وذلك أن خمس الأصابع إذا قطعت كان عقلها عقل الكف، خمسين من الإبل في كل إصبع عشرة من الإبل[2].

«ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم، إلا أنه جاء في كشف الأسرار/ البزدوي (٢/٣٧٠): (أنه يوجب العمل ولا يوجب اليقين -أي خبر الواحد-)[3].

وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء، وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية كأبي أسحق وابن فورك، وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك، وتبعه مثل أبي المعالي وأبي حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب والآمدي ونحو هؤلاء، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد وأبو الطيب وأبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية، وهو الذي ذكره القاضي عبدالوهاب وأمثاله من المالكية، وهو الذي ذكره أبو يعلي، وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني وأمثالهم من الحنبلية، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي وأمثاله من الحنفية، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث، كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة»[4].

وفي المسودة ص(٢٤١) قال أحمد: (إذا جاء الحديث عن النبي ﷺ بإسناد صحيح فيه حكم أو فرض عملت بالحكم أو الفرض ودنت الله تعالى به، ولا أشهد أن النبي ﷺ قال ذلك).

قال القاضي: وقد نقل أبو بكر المروزي قال: قلت لأبي عبد الله: ها هنا إنسان يقول أن الخبر يوجب عملاً، ولا يوجب علماً، فعابه، وقال: ما أدري ما هذا؟ قال: وظاهر هذا أنه سوّى فيه بين العلم والعمل.

قال القاضي: وقال في رواية حنبل في أحاديث الرؤية: نؤمن بها ونعلم أنها حق نقطع على العلم بها، قال: وذهب إلى ظاهر هذا الكلام جماعة من أصحابنا، وقالوا: خبر الواحد إن كان شرعياً أوجب العلم[5].

وفي المسودة ص(٢٤٠): (خبر الواحد يوجب العلم وغلبة الظن دون القطع في قول الجمهور).

وفي المسودة ص(٢٤٠) قال النظام إبراهيم: خبر الواحد يجوز أن يفيد العلم الضروري إذا قارنته إمارة.

قال ابن عبدالبر[6]: (والذي عليه أكثر أهل الحذق منهم أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد الله به وقطع).

وقال قوم كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر: أنه يوجب العلم والعمل جميعاً منهم الحسين الكرابيسي.

ثم قال ابن عبدالبر: (الذي نقول به أنه يوجب العمل دون العلم).

١- (المنتقى، الموطأ) (٥/٥٥)، والمدونة الكبرى (١٠/٢٠).

٢- أنظر الموطأ (٢/١٨٦).

٣- أنظر كشف الأسرار، المنار (٢/٧)، وأصول الدواليبي ص(٢٤٩).

٤- أ. هـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية م(١٣) مقدمة التفسير ص(٣٥ - ٢٥٢).

٥- المسودة ص(٢٤٣).

٦- المسودة ص(٢٤٤)

وأثبت أبو إسحاق الإسفراييني قسماً بين المتواتر والآحاد سماه المستفيض، وزعم أنه يفيد العلم نظراً، والمتواتر يفيد العلم ضرورة، وأنكر عليه الجويني ذلك.

قال والد ابن تيمية: إن اتفقوا على العمل به لم يحكم بصدقه لجواز العمل بالظاهر، وقد اختلف العلماء في تكفير منكر خبر الواحد العدل فذكر وجهان عن الحنبلية، والتكفير منقول عن إسحاق بن راهوية(١).

قال شيخ الإسلام(٢): (مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات).

قال القاضي: وخبر الواحد يوجب العلم إذا صح ولم تختلف الرواية فيه وتلقته الأمة بالقبول.

أسماء الله عز وجل وصفاته توقيفية

قال أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي -حاكياً عن بعض أهل العلم-: أنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم.

الآراء في الصفات:

١- المجسمة والمشبهة: يد كأيدينا، وعين كأعيننا، كداود الجوارني وهشام بن الحكم الرافضي.

٢- المعطلة: لأن الكلام والسمع والبصر بالآلات وهو منزه عنها، كالجهمية.

قال ابن القيم: (أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل) وهو ثلاثة أقسام:

أ- تعطيل الصانع عن المصنوع.

ب- تعطيل الصانع سبحانه عن كمال القدس أسمائه وصفاته وأفعاله.

جـ-تعطيل معاملته عن ما يجب على العباد من حقيقة التوحيد(٣).

٣- السلف: قال أحمد: (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق إذا كان بأسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية **(ليس كمثله شيء)**(٤).

٤- مذهب الخلف: يجوز تأويل الصفات، فالوجه للذات، واليد للقدرة.

قال ابن الجوزي: (دفع شبهه التشبيه): **(ويبقى وجه ربك)** يبقى ربك، وقال الضحاك وأبو عبيدة: **(كل شيء هالك إلا وجهه)** إلا هو، وقال: الأخذ بظاهر الآيات تجسيم وتشبيه، وليس الأخذ بالظاهر مذهب السلف، بل السكوت جملة عن البحث فيها، وقال: إن تسميتها آيات وأحاديث صفات بدعة.

ويرد على الرأيين الأولين بالآية **(ليس كمثله شيء)** رد على المشبهة، **(وهو السميع البصير)** رد على المعطلة.

قال ابن القيم في الكافية الشافية:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا	*إن المشبه عابد الأوثان*
كلا ولا نخليه من أوصافه	*إن المعطل عابد البهتان*
من شبه الله العظيم بخلقه	*فهو النسيب لشرك نصراني*
أو عطل الرحمن عن أوصافه	*فهو الكفور وليس ذا إيمان*(٥)

قال بعض العلماء: (المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً).

قال الخطابي: (مذهب السلف إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصفات فرع عن(٦) الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيها مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف

١- المسودة ص(٢٤٥). ٢- ص٢٤٨ المسودة. ٣- الروضة ص(٢٦).
٤- العقائد للبنا ص(٤٨٩). ٥- الروضة الندية ص(٢١). ٦- في الأصل (على) ولعل الصحيح ما أثبتناه.

فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف).

وقد يعبرون عن ذلك بقولهم: تمر كما جاءت ولا يتعرض لها بتأويل، ومرادهم أنه يجب إثبات حقيقة الصفات دون التكييف، وقد يظن أنهم أرادوا التفويض أو أنها من المتشابه وهذا ظن خاطىء[١].

قال ابن تيمية: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل)[٢]. قال بعضهم: (صفات الرب تعالى معلومة من حيث الجملة والإثبات، غير مدركة من حيث الكيف والتحديد)[٣].

أهل السنة يثبتون لله تعالى:

١- الصفات الذاتية: كالقدرة والإرادة والعلم.

٢- صفات الأفعال: كالنزول والمجيء.

٣- الصفات الاختيارية: كالفرح والضحك.

الصفات:

١- النفسية (الوجود): يدل الوصف على نفس الذات، دون معنى زائد عليها، ولا تعقل الذات إلا بها.

٢- الصفات السلبية: وهي كل صفة مدلولها عدم أمر لا يليق بالله سبحانه.. الوحدانية، القدم، البقاء، القيام بالذات، المخالفة للحوادث.

٣- صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى تستلزم حكماً معيناً له، كصفة العلم، تستلزم أن يكون المتصف بها عليماً.

وأنكر المعتزلة هذه الصفات فقالوا: إن الله تعالى عالم بدون أن يتصف بشيء اسمه العلم، وإن الله تعالى قادر بدون أن يتصف بشيء اسمه القدرة.

وقال المعتزلة: (إن عالميته وقادريته واجبة لذاته تعالى، فلا تحتاج لوجودها إلى العلم كما هو الحال بالنسبة إلينا، وقالوا: إن الله كامل بذاته... فيلزم إذا قلنا إن عالميته ثابتة بواسطة صفة العلم فيه أن يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره وهو باطل باتفاق)[٤]، وهي: (العلم، الإرادة، القدرة، السمع، البصر، الكلام، الحياة).

٤- الصفات المعنوية: هي الصفات التي تترتب على ثبوت صفات المعاني وهي: (عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلما حي).

جاء في كتاب شرح الفقه الأكبر ص(١٤) قال أبو حنيفة: (والله تعالى واحد، لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له (قل هو الله أحد...) لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية.

أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة.

وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل.

لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلاً بفعله والفعل صفة في الأزل).

قال الإمام عبدالعزيز المكي في (كتاب الحياة) الذي حكى فيه مناظرته لبشر المريسي عن علمه تعالى: وبشر يقول لا يجهل ولا يعترف أن الله عالم بعلم، فقال الإمام عبدالعزيز: نفي الجهل لا يكون صفة مدح، فإن هذه الأسطوانة لا تجهل، وقد مدح الله الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم[٥].

١- الروضة ص(٢١). ٢- الروضة ص(٢١). ٣- شرح العقيدة الواسطية -مصطفى العالم-.

٤- كبرى اليقينيات (١٢٤) نقلاً عن المواقف (٢/٢٤٦). ٥- الروضة ص(٧٢).

الواجب في حقه تعالى

يقول السنوسي في البيجوري/السنوسية ص(١٦): يجب لمولانا جل وعز عشرون صفة وهي:

أ- نفسية: الوجود.

ب- سلبية: القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية.

قال البيجوري: إنما نسبت للسلب لأنها مفسرة به، إذ القدم سلب أولية الوجود، والبقاء سلب آخرية الوجود، والمخالفة للحوادث: سلب المماثلة لها، والقيام بالنفس: سلب الافتقار، والوحدانية: سلب التعدد.

جـ- صفات المعاني: وهي سبع عند الأشاعرة، وأما عند الماتريدية فثمان صفات لأنهم يزيدون صفة التكوين؛ فهي عندهم صفة قديمة قائمة بذاته تعالى بها الإيجاد والإعدام، وهي المرادة عندهم من صفات الأفعال، وهي:

١- القدرة والإرادة: المتعلقتان بجميع الممكنات.

٢- العلم المتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات.

٣- والحياة: وهي لا تتعلق بشيء.

٤. ٥ - السمع والبصر: المتعلقان بجميع الموجودات.

٦- الكلام: ويتعلق بما يتعلق به العلم.

د- صفات معنوية: وهي ملازمة للسبع الأولى وهي كونه تعالى: قادراً، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، متكلماً.

المستحيل في حق الله تعالى

أضداد الصفات العشرين وهي:

أ- العدم.

ب- الحدوث، وطروء العدم (الفناء)، والمماثلة للحوادث.

أنواع المماثلة عشرة:

١- أن يكون جرماً. ٢- عرضاً. ٣- أن يكون في جهة. ٤- أن يكون له هو جهة. ٥- أن يكون في مكان. ٦- أن يكون في زمان. ٧- أن يكون محلاً للحوادث. ٨- أن يكون متصفا بالصغر. ٩- أن يكون متصفا بالكبر. ١٠- أن يكون متصفاً بالأغراض في الأفعال أو الأحكام.

القِدَم:

روى البخاري عن عمران بن الحصين: (إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا، جئنا لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ فقال ﷺ: **كان الله ولم يكن شيء غيره** -وفي رواية: قبله- **وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق الله السموات والأرض**)[1].

روى أبو داوود حديثاً رقم (٤٧٠٠) عن عبادة بن الصامت: [**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال: رماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**].

قال البيهقي: وإنما أراد -والله أعلم- أول شيء خلقه الله بعد الماء والريح والعرش والقلم[2].

واختلف العلماء أيهما خلق أولا العرش أو القلم؟

١- قالت طائفة: القلم أولاً، لحديث عبادة، وقال بهذا ابن جرير الذي قال: وبعد القلم السحاب الرقيق وبعده العرش. وبه قال

١- العقائد لسيد سابق ص(٥٤). ٢- شرح قصيدة ابن القيم (٢٧٥/١).

ابن أبي عروبة وأبو القاسم الطبراني، وابن الجوزي.

٢- قال ابن كثير: والذي عليه جمهور العلماء أن العرش مخلوق قبل ذلك كما دل عليه حديث مسلم: **{كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة -قال- وكان عرشه على الماء}**[1].

والحق أن العرش قبل لأنـــه قبل الكتابة كان ذا أركـــان

وكتابة القلم الشريف تعقبت إيجاده من غير فصل زمان[2]

فالله عز وجل لا أول لوجوده، وإن وجوده غيرمسبوق بعدم.

روى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: **{لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله}.**

إذا وضعت كتاباً على مكتبك ثم عدت فوجدته على طاولة أخرى تسأل عمن نقله؛ أما إذا كان في غرفتك رجل جالساً على الأرض ثم عدت فوجدته على الكرسي فلا تسأل من الذي نقله.

أقرب نجم إلينا بعد الشمس يعادل بعده (٢٦٠٠٠٠) مرة بعد الشمس عنا، تعتبر المجموعة الشمسية ذرة إذا قيست بالمجرة إذ أنها تحتوي على مائة مليون نجم.

إن الضوء يستغرق مائة ألف سنة ضوئية ليرحل بين طرفي المجرة، والسنة الضوئية تساوي عشرة مليون مليون كيلو متر (١٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) كم[3].

الدليل العقلي: إذا لم يكن قديماً كان حادثاً، وإذا كان حادثاً احتاج إلى من يحدثه مع أن المفروض في الله تعالى أنه خلق جميع الموجودات، وهذا محال لأنه يترتب عليه الدور والتسلسل وهو محال وباطل، وما ترتب على المحال والباطل فهو باطل.

ولو كان مسبوقاً بالعدم لكان لا بد من مؤثر في إيجاده، ومحال أن يكون مع ذلك إلهاً، فلا بد أن تكون الموجودات مستندة في وجودها إلى ذات واجبة الوجود (أي أن الوجود لازم لها بلا ابتداء ولا انتهاء)، ولا تكون هذه الذات واجبة الوجود إلا إذا كانت مؤثرة في غيرها غير متأثرة بسواها، وذلك يستلزم أن تكون متصفة بالقدم.

ويجب أن نضع نصب أعيننا أن العقل لا يستطيع إدراك عدم الأولية أو اللانهائية، وذلك لأنه محدود وقدرته متناهية ومحصورة، وعدم إدراك حقيقة لا يعني أنها غير موجودة، ولذلك قالوا: (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع).

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث في كنه ذات الله إشراك

عن عكرمة عن ابن عباس «أن اليهود جاءت النبي ﷺ منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد) -فيخرج منه-، (ولم يولد) -فيخرج من شيء-، (ولم يكن له كفوا أحد) ولا شبه، فقال: هذه صفة ربي عز وجل وتقدس علواً كبيراً». **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون).**

وقد أنكر ابن حزم وأكثر السلف هذا الاسم فقالوا: القديم هو المتقدم على غيره **(حتى عاد كالعرجون القديم)** وهو الذي يبقى حتى وجود العرجون الثاني. **(هذا إفك قديم)** (الأحقاف: ١١). **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن).**

مدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وأخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده (فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه)[4].

البقـــاء:

ومعناه أنه سبحانه لا آخر له، فيمتنع لحوق الفناء والعدم بذاته، وذلك لأنه واجب الوجود، فالوجود لازم له في القدم والبقاء، وهو يؤثر ولا يتأثر.

١- رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب.
٢- شرح الكافية الشافية (١/٢٧٥).
٣- سيد سابق -العقائد- ص(٤٢).
٤- الروضة الندية (٦٨-٦٩).

الدليل النقلي: (كل شيء هالك إلا وجهه)، (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك...).

(أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء)[1].

القيام بالذات:

أي أنه غني عن المحل، وغير مفتقر إلى موجد، (الله الصمد) يحتاج إليه كل شيء ولا يحتاج إلى شيء. (الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم) (وهو الغني الحميد)، والقيوم أبلغ من القيام، لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه باتفاق المفسرين وأهل اللغة، وهو معلوم بالضرورة، وهل تفيد إقامته لغيره؟ فيه قولان: أصحهما: أنه تفيد دوام قيامه.

والقيوم متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته[2].

الدليل العقلي: هو خالق الخلق، فلو احتاج إلى غيره لكان ضعيفاً -سبحانه-، ولكان حادثاً مخلوقاً.

مخالفته للحوادث:

وقد ذكرنا من قبل معنى المخالفة -وهي عشرة- أنه ليس بجرم ليس له مكان ولا زمان.

وقد جاء في القرآن (ليس كمثله شيء)، (قل هو الله أحد)، ومعنى ليس كمثله شيء: أي ليس كهو شيء، ومثله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا... أي بالذي آمنتم).

ويقال الكاف: زيادة، يقال: فلان كلمني بلسان كمثل السنان، فلما أراد الله أن ينفي التشبيه على آكد ما يكون من النفي جمع في قراءتنا بين حروف التشبيه واسم التشبيه حتى يكون النفي مؤكداً على المبالغة[3].

وفي الحديث: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، والله عز وجل لا يموت ولا يورث، ولم يكن لـه كفـواً أحد، قال: لم يكن له شبه ولا عدل، وليس كمثله شيء)[4].

عن ابن عباس: (وله المثل الأعلى قال يقول (ليس كمثله شيء)، وفي قوله: (هل تعلم له سميا) يقول: هل تعلم للرب مثلاً أو شبهاً).

قالوا للحسن البصري: صف لنا ربك، قال: أصفه بغير مثال.

قال بعض العلماء المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات.

وزاد الواسطي -رحمه الله- فقال: ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ[5].

صفات الله عز وجل:

الصفـــات	الواجب في حقه تعالى	المستحيل
النفســية	الوجــود	العــدم
السلبية	القدم	الحدوث
	البقاء	طروء العدم
	مخالفته للحوادث	المماثلة للحوادث
	قيامه بنفسه	ألا يكون قائماً بنفسه
	الوحدانية	يستحيل ألا يكون واحداً

١- مسلم. ٢- شرح الطحاوية (٥٤-٥٥).
٣- الأسماء والصفات للبيهقي ص(٢٧٨). ٤- الأسماء للبيهقي ص(٢٧٩).
٥- تفسير القرطبي (٩/١٦).

صفات المعاني	القدرة	العجز
		عدم الإرادة (الذهول والغفلة)
	العلم	الجهل
	الحياة	الموت
	البصر	العمى
	السمع	الصمم
	الكلام	البكم

الصفات المعنوية[1]

الوحدانية:

أي أن الله واحد أحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

أما الوحدانية في الذات فتعني أن ذات الله واحدة ليست مركبة من أجزاء، ولا هي نوع تحته أفراد، ولا شريك له في ملكه **(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)**. (سبأ: ٢٢)

ولو كان له شريك لفسدت السموات والأرض. **(قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا)** (الإسراء: ٤٢)

(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون). (الأنبياء:٢٢)

والفساد يأتي لتعارض الأوامر، لقال إله بالخلق ومانع وعارض آخر، وتوقف النظام الكون **(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)**. (المؤمنون:٩١).

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (الأنبياء:٢٥)

قال الحليمي في معنى (لا إله إلا الله): إن هذه الكلمة يكفي الإنسلاخ بها من جميع أنواع الكفر بالله جل ثناؤه، وإذا تأملنا وجدناها بالحقيقة كذلك، لأن من قال: (لا إله إلا الله) فقد أثبت الله تعالى ونفى غيره، فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل، وبما ضم إليه من نفي غيره عن التشريك، وأثبت باسم الإله الإبداع والتدبير.

(فتبين أن اسم الإله والتشبيه لا يجتمعان، كما أن اسم الإله ونفي الإبداع عنه لا يأتلفان)[2].

القدرة:

(بلى قادرين على أن نسوي بنانه) (القيامة: ٤). **(أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة)** (فصلت: ١٥). **(قل هو القادر)** (الأنعام: ٦٥). **(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض)** (فاطر: ٤٤).

قال الأستاذ أبو إسحق: من أسامي صفات الذات ما يعود إلى القدرة، منها (القاهر) ومعناه (الغالب)، ومنها (القهار) ومعناه الذي لا يقصد إلا ويغلب، ومنها (القوي) ومعناه المتمكن من كل مراد، ومنها (القادر) ومعناه إثبات القدرة، ومنها (المقتدر) الذي لا يرده شيء عن المراد، (ذو القوة المتين) نفي النهاية في القدرة.

وفي بعض الأخبار (الغلاب): الذي يُكره على ما يريد ولا يُكره على ما يراد.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: **[كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك**

١- هكذا موجودة في الأصل وحدها، إلا أن الشيخ ذكرها مفصلة فيما سبق، فقال: وهي الصفات التي تتبع صفات المعاني وهي سبع (عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلم، حي).

٢- الأسماء والصفات للبيهقي ص(٩٧).

بقدرتك..][1]. (سجد وجهي للذي خلقه... بحوله وقوته).

الإرادة والمشيئة:

الإرادة والمشيئة عبارتان عن معنى واحد.

(يزيد في الخلق ما يشاء) (فاطر: ١)، **(في أي صورة ما شاء ركبك)** (الإنفطار: ٨)، **(إن الله يفعل ما يشاء)** (الحج: ١٨)، **(إن الله يفعل ما يريد)** (الحج: ١٤)، **(فعال لما يريد)**. (البروج: ١٦)، **(وربك يخلق ما يشاء ويختار)** (القصص: ٦٨)، **(ولو شاء ربك ما فعلوه)** (الأنعام: ١١٢).

(قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد)، (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان).

قال الشافعي: المشيئة إرادة الله تعالى.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما شاء الله وشئت، فقال رسول الله ﷺ: **أجعلتني لله عدلاً؟ بل شاء الله وحده**].

وفي الصحيحين: **[فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط قط]**.

قال أبو سليمان الخطابي: فيشبه أن يكون من ذكر القدم والرجل أو ترك الإضافة إنما تركها تهيباً لها وطلباً للسلامة من خطأ التأويل فيها، وكان أبو عبيد وهو أحد أئمة أهل العلم يقول: نحن نروي هذه الأحاديث ولا نريغ (نطلب) لها المعاني.

قال الخطابي: ونحن أحرى بأن لا نتقدم فيما تأخر عنه من هو أكثر علماً وأقدم زماناً وسناً، ولكن الزمان الذي نحن فيه قد صار أهله حزبين:

١- منكر لما يروى من نوع هذه الأحاديث وهم أئمة الدين ونقلة السنن، والواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ.

٢- والطائفة الثانية: مسلمة للرواية فيها ذاهبة في تحقيق الظاهر منها مذهباً يكاد يفضي بهم إلى القول بالتشبيه.

قال الخطابي: ونحن نرغب عن الأمرين معاً، ولا نرضى بواحد منهما مذهباً، فيحق علينا أن نطلب لما يرد من هذه الأحاديث إذا صحت من طريق النقل والسند تأويلاً يخرج على معاني أصول الدين، ومذاهب العلماء، ولا نبطل الرواية فيها أصلاً، إذا كان طرقها مرضية ونقلتها عدولاً.

قال الخطابي: وذكر القدم هنا يحتمل أن يكون المراد به من قدمهم الله للنار من أهلها، فيقع بهم استيفاء أهل النار، وكل شيء قدمته فهو قدم كما يقال لما هدمته هدم، ولما قبضته قبض، ومن هذا قوله عز وجل: **(أن لهم قدم صدق عند ربهم)** (يونس: ٢)، أي ما قدموه من الأعمال الصالحة[2].

العرب تسمي جماعة الجراد رجلاً، وجماعة الظباء سرباً، وجماعة النعام خيطاً، وجماعة الحمير عانة.

قال الخطابي: وفيه وجه آخر وهو أن هذه الأسماء مثال يراد بها إثبات معان لا حظّ لظاهر الأسماء فيها من طريق الحقيقة، إنما أريد بوضع الرجل عليها نوع من الإذلال والتسكين من غربها (حدتها) كما في الحديث: **[ألا إن كل دم ومأثرة في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة البيت]** يريد محو المآثر.

وتقول العرب: سقط في يده -ندم-، ورغم أنف الرجل: إذا ذل، وعلا كعبه: إذا جل، ومنه:

فقلت له لما تمطى لصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلكل

وتقول العرب: (قام على ساق): إذا جد في الأمر.

وهذا الباب كثير التصرف.

نواقض الإسلام[3]:

١- الشرك بالله، الذبح لغير الله، وللقبر.

١- رواه البخاري عن ابن مسعود. ٢- الأسماء والصفات للبيهقي (٣٥٠-٣٥١) ٣- محمد عبد الوهاب.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

٤- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ -ولو عمل به- فهو كافر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل: **(قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)** (التوبة: ٦٥).

٧- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر. **(وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر)** (البقرة: ١٠٢).

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. **(ومن يتولهم منكم فإنه منهم)** (المائدة: ٥١).

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

١٠- من أعرض عن دين الله -لا يتعلمه ولا يعمل به-. **(والذين كفروا عما أنذروا معرضون)** (الأحقاف ٣)

الطواغيت:

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (النحل ٣٦).

الطاغوت: كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة:

١- الشيطان. **(ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان)** (يس: ٦٠).

٢- الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى. **(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك)** (النساء: ٦٠)

٣- الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

٤- الذي يدعي علم الغيب.

٥- الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة. **(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)** (البقرة: ٢٥٦).

ولا يصير الإنسان مؤمنا بالله حتى يكفر بالطاغوت.

حكم موالاة أهل الإشراك:

قال سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم -خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم- فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك.

فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً فإنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً

وساق الشيخ عشرين دليلاً على قوله منها: **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** (البقرة ١٢٠) **(ولا يزالون يقاتلونكم)** (البقرة: ٢١٧). **(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)** (آل عمران ٢٨) **(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم)** (النساء: ١٤٠) **(ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء)** (المائدة: ٨٠-٨١). الحديث: **[من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله]**.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: إن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة

والمنزل معهم بحيث يعده المشركون منهم فهو كافر مثلهم، وإن ادعى الإسلام، كالناس الذين أقاموا في مكة وادعوا الإسلام بعد الهجرة، وخرجوا في بدر مع المشركين فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالى: **{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم}** (النساء:٦٧).

(من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو، يجوز إطلاق اسم منافق عليه).

ملاحظات:

١- سيرة الخلفاء في مانعي الزكاة واحدة: قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسموهم جميعاً أهل الردة.

٢- قال ابن تيمية في كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول): أجمع المسلمون أن من سب الله أو رسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله أنه كافر بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله.

وقال محمد بن سحنون -أحد أصحاب مالك- أجمع العلماء على أن شاتم الرسول ﷺ كافر، وحكمه عند الأئمة القتل، ومن شك في كفره كفر.

قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم أن على من سبه القتل، وهذا قول أحمد وابن عمر وعمر بن عبدالعزيز.

ولقد قتل خالد بن الوليد رجلاً شتم الرسول ﷺ ولم يستتبه.

قال الشافعي: من هزل بشيء من آيات الله فهو كافر، فكيف بمن هزل بسب الله تعالى أو بسب رسوله ﷺ.

قال ابن تيمية: قال أصحابنا وغيرهم: من سب الله كفر -مازحاً أو جاداً- وهذا هو الصواب المقطوع به.

ومعنى قول إسحاق: أو دفع شيئاً مما أنزل الله: أن يدفع شيئاً مما أنزل الله في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من الفرائض أو الواجبات أو المسنونات أو المستحبات، بعد أن يعرف أن الله أنزله في كتابه أو أمر به رسوله ﷺ، أو نهى عنه، ثم دفعه بعد ذلك فهو كافر مرتد، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله من الشرع إلا ما دفعه وأنكره لمخالفته هواه أو عادته أو عادة أهل بلده، وهذا قول العلماء: من أنكر فرعاً مجمعاً عليه فقد كفر.

فإذا كان من أنكر النهي عن الأكل بالشمال، أو النهي عن إسبال الثياب -بعد معرفته أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك- فهو كافر مرتد، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم، فكيف بمن أنكر إخلاص العبادة لله وحده؟!.

الإيمان المطلق ومطلق الإيمان:

الإيمان المطلق: هو الذي لا يتقيد بمعصية ولا فسوق ولا نقصان ونحو ذلك، ويقال: الإيمان الكامل وهو الإتيان بالواجبات وترك المعصية.

وأما مطلق الإيمان: فهو ما كان معه ترك واجب أو فعل محرم كفعل معصية.

الواجب نحو أصحاب النبي ﷺ:

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ من الحقد والبغض والاحتقار والعداوة، وسلامة ألسنتهم من الطعن واللعن والوقيعة فيهم، ويعتقدون فضلهم، ويعرفون سابقتهم ومحاسنهم، ويترحمون عليهم، ويستغفرون لهم، ولا يقولون إلا ما حكاه الله عنهم. **{والذين جاءوا من بعدهم}** (الحشر: ١٠).

قال ﷺ لخالد بن الوليد عندما سب عبدالرحمن بن عوف: **{لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه}**، ويجب الإمساك والكف عما شجر بينهم.

أهل السنة والجماعة:

أهل السنة: هم المتبعون لها ونسبوا إليها لتمسكهم بها وانتسابهم إليها دون غيرها من الطرق.

الجماعة:

سلف الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة فهو منهم.

الحرورية:

هم الخوارج: سموا بذلك نسبة إلى قرية قرب الكوفة حرورا.

الرافضة:

هم الذين غلوا في أمير المؤمنين علي، وغلوا في أهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة -كالثلاثة- وكفروهم ومن والاهم.

وقالوا: لا ولاء إلا ببراء، أي لا يتولى أحد بعد علي إلا ببراءته من أبي بكر وعمر، وكفروا من قاتل علياً.

وسبب تسميتهم الرافضة: لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين، وارْفَضُوا عنه حينما قالوا له: تبرأ من الشيخين، فقال: معاذ الله وزيرا جدي.

الصلاة وراء الفجار (المسلم الفاسق) جائزة:

فقد صلى ابن مسعود خلف الوليد بن عقبة وكان يشرب الخمر، وصلى الفجر أربعاً[1]، وجلده عثمان على الخمر، وصلى ابن عمر خلف الحجاج، وخلف الخوارج، وكان الصحابة يصلون وراء ابن أبي عبيد، وكان متهماً بالإلحاد وداعياً إلى الضلال.

الفاسق أو العاصي: كل من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة.

ويفسق المذنب بالكبيرة   كذا إن أصر على الصغيرة

لا يخرج المؤمن من الإيمان   بموبقات الذنب والعصيان

وفي المغني (٢/١٨٥): (ومن صلى خلف من يعلن ببدعة أو يسكر أعاد).

قال الأثرم، قلت لأحمد: الرافضة الذين يتكلمون بما تعرف؟ فقال: نعم أمره أن يعيد، فقيل له: وهكذا أهل البدع كلهم، قال: لا، إن منهم من يسكت، ومنهم من يقف ولا يتكلم، وقال: لا تصل خلف أحد من أهل الأهواء إذا كان داعية إلى هواه.

وقد روي عن أحمد: أنه لا يصلي خلف مبتدع بحال، وفي رواية: لا يصلي خلف مرجيء ولا رافضي ولا فاسق إلا أن يخافهم فيصلي ثم يعيد.

وعن مالك: أنه لا يصلي خلف أهل البدع.

واعتمد الحنبلية على الحديث: **{لا تؤمن امرأة رجلاً، ولا فاجر مؤمناً إلا أن يقهره بسلطان، أو يخاف سوطه أو سيفه}**[2].

أما الجمع والأعياد: فإنها تصلى خلف البر والفاجر، وكان أحمد يشهدها مع المعتزلة ثم تعاد.

جاء رجل إلى محمد بن النضر، فقال له: إن لي جيراناً من أهل الأهواء لا يشهدون الجمعة، فقال: حسبك، ما تقول فيمن رد إلى أبي بكر وعمر؟ قال: رجل سوء، قال: فإن رد على النبي ﷺ؟ قال: يكفر، قال: فإن رد على العلي الأعلى؟ ثم غشي عليه، ثم أفاق.

الصلاة خلف مستور الحال:

وإن لم يعلم حاله ولم يظهر منه ما يمنع الائتمام به، فصلاة المأموم صحيحة، نص عليه أحمد، لأن الأصل في المسلمين السلامة، ولو صلى خلف من يشك في إسلامه فصلاته صحيحة.

ويصلى على من مات من الأبرار والفجار من أهل القبلة عدا البغاة وقطاع الطرق وقاتل نفسه خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد

١- يعني من سكرته لا من اعتقاده، ورواية أن الوليد بن عقبة شرب الخمر رواها الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده، والطبري في تاريخه، مع أن الوليد بن عقبة مشهود له بأنه قائد مجاهد فاتح عادل، بل متفان في جهاده وقيامه للإسلام، وقد تحير الشيخ محب الدين الخطيب في هذه الرواية واستغربها أشد الغرابة، واضطر إلى تأويلها ودراسة ملابساتها من كل جهة، ووصل أخيراً إلى نتيجة بأن الرواية في أصلها وفي حقيقتها لَبْسٌ كثير، واتهام الوليد بشرب الخمر ظلم عظيم، والسبب في هذا الظلم هم الشهداء الذين شهدوا عليه أمام عثمان رضي الله عنه -انظر لتفصيل هذا الموضوع حاشية كتاب (العواصم من القواصم) تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب ص(٩٤-٩٩)- (التعليق من الناشر).

٢- رواه ابن ماجة عن جابر مرفوعاً.

خلافاً لمالك والشافعي.

ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً، ولا نرى السيف على أحد من أهل القبلة إلا من وجب عليه السيف، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

التوقيف في الأسماء وعددها[١]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **{إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، من حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر}**[٢].

وليس في قول النبي ﷺ تسعة وتسعون اسماً نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني[٣].

ومعنى أن أسماء الله توقيفية: أنه لا يتجاوز بها الوارد في الكتاب والسنة، فهي تتلقى عن طريق السمع لا بالآراء، فلا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، ولا يسمى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ[٤].

وهي ليست محصورة بعدد معروف. وأما الحديث الوارد: **{أن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة} فلا يفيد أنها محصورة بالتسعة والتسعين، وإنما غاية ما فيه أن هذه الأسماء موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة**[٥].

وقيل: فصل الخطاب في أسماء الله الحسنى، هل هي توقيفية أم لا؟ وحاصله: أن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق من باب الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم، والشيء الموجود، والقائم بنفسه، والصانع ونحو ذلك[٦].

وهذه أسماء الله الحسنى:

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الولي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني الضار النافع المانع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور[٧].

وزاد الفاريابي: الكافي بعد الصبور، وفي رواية الحسن بن سفيان الرافع بدل المانع، وقيل رواية النصيبي المغيث بدل المقيت[٨].

اسم الله الأعظم:

ورد ذكر اسم الله الأعظم في أحاديث كثيرة منها:

١- عن بريدة رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: فقال: **{والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى}**[٩].

قال الطيبي: فيه دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دعي به أجاب، وإن ذلك مذكور ههنا، وفيه حجة على من قال: كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الإسم الأعظم، إذ لا شرف للحروف، وقد ذكر في أحاديث أخر مثل ذلك، وفيها أسماء ليست في هذا الحديث، إلا أن لفظ الله مذكور في الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم.

---

١ ملاحظة: من هنا حتى آخر الكتاب وجدناه في الأصل بغير خط الشيخ الشهيد، وإنما هو بخط الناسخ الذي كان يملي عليه الشيخ، عدا آخر صفحتين فهي بخط الشيخ

٢ رواه البخاري في الصحيح عن علي بن المديني، ورواه مسلم عن عمرو الناقد وزهير بن حرب وابن أبي عمر كلهم عن سفيان بن عيينة، الأسماء والصفات البيهقي ص(٤).

٣ الأسماء والصفات البيهقي ص(٦).

٤- الأسئلة والأجوبة الأصولية -عبد العزيز السلمان- ص(٤٤)

٥ الأسئلة والأجوبة الأصولية -عبد العزيز السلمان- ص(٤٥).

٦- تيسير العزيز الحميد -سليمان بن عبد الوهاب- ص(٥٧٤)

٧- تيسير العزيز الحميد -سليمان بن عبد الوهاب- ص(٥٧٦-٥٧٧).

٨- الأسماء والصفات البيهقي ص(٥)

٩ رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

لقادرون﴾ (المؤمنون: ٩٥).

وكان أبو إسحق رحمه الله يقول: من أسامي صفات الذات ما يعود إلى القدرة منها: القاهر: ومعناه الغالب، ومنها القهار: ومعناه الذي لا يقصد إلا ويغلب، ومنها القوي: ومعناه المتمكن من كل مراد، ومنها المقتدر: ومعناه الذي لا يردّه شيء عن المراد، ومنها القادر: ومعناه إثبات القدرة، ومنها ذو القوة المتين: ومعناه نفي النهاية في القدرة، وتعميم المقدورات.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **{إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، لإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه وعجل لي الخير حيث كان ثم أرضني به}**[1].

باب ما جاء في إثبات صفة القوة وهي القدرة:

قال الله عز وجل: **﴿أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾**(فصلت: ١٥). وقال: **﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾** (الذاريات: ٥٨). **﴿والسماء بنيناها بأيد﴾** (الذاريات: ٤٧). يعني بقوة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده بالليل مراراً: **{سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته}**[2].

وقال تعالى: **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة﴾**(الحج: ٥) أي خلقنا آدم عليه السلام من تراب، ثم خلقنا ذريته من نطفة من مني، ثم من علقة أي دم جامد، ثم من مضغة، وهي لحمة قدر ما يمضغ. **﴿مخلقة وغير مخلقة﴾** (الحج: ٥). أي مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق. **﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾** (الحج: ٥)[3]

السمع:

قال الله تبارك وتعالى: **﴿فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾** (غافر: ٥٦). **﴿إنه هو السميع العليم﴾** (الأنفال: ٦١). **﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا﴾** (آل عمران: ١٨١). **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾** (المجادلة: ١). **﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾** (طه: ٤٦). **﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾** (الزخرف: ٨٠).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، فكنا إذا علونا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا، فقال رسول الله ﷺ: **{أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكنكم تدعون سميعاً قريباً}**.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **{الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾}**[4].

وعن أبي عياض قال: **{سألت ابن عمر -أو سئل ابن عمر- رضي الله عنهما، -وأنا أسمع- عن الخمر، فقال: لا وسمع الله عز وجل، لا يحل بيعها ولا ابتياعها، فحلف بسمع الله تعالى}**[5].

ومن أسمائه تعالى: -السميع- ومعناه الذي لا يعزب عن سمعه المسموع وإن خفي، فيسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، فأحاط سمعه بجميع المسموعات، سرها وعلنها، وقريبها وبعيدها، فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات، وعلى تفنن الحاجات وكأنها لديه صوت واحد.

وسمعه تعالى نوعان: أحدهما سمعه جميع الأصوات -كما تقدم- والثاني: سمع إجابة منه للسائلين والداعين والعابدين، ومنه قوله تعالى: **﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾** (إبراهيم: ٣٤).

١- رواه البخاري في الصحيح عن قتيبة بن سعيد، الأسماء والصفات -البيهقي- ص(١٢٤-١٢٥).
٢- الأسماء والصفات البيهقي ص(١٢٩).
٣- مجموعة الرسائل ص(٤٦٢).
٤- أخرجه البخاري.
٥- الأسماء والصفات ص(١٧٥-١٧٨).

وقال ابن القيم:

وهو السميع يرى ويسمع ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل سمع منه صوت حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والدان[1]

والذي يراد بفعل السمع -كما ذكر ابن القيم رحمه الله- أربعة معان:

أحدها: سمع إدراك، ومتعلقه الأصوات.

الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني.

الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سأل.

الرابع: سمع قبول وانقياد.

فمن الأول: **(قد سمع الله قول التي تجادلك)**.

ومن الثاني: **(وقولوا انظرنا واسمعوا)** (البقرة:١٠٤).

ومن الثالث: **(سمع الله لمن حمده)**.

ومن الرابع: **(سماعون للكذب)** (المائدة:٤١).

أي قابلون له ومنقادون[2].

البصر:

قال الله عز وجل: **(إن الله هو السميع البصير)** (غافر: ٢٠). **(إنه كان بعباده خبيراً بصيراً)** (الإسراء: ٣٠). **(فسيرى الله عملكم)** (التوبة: ١٠٥). **(ألم يعلم بأن الله يرى)** (العلق: ١٤). **(أسمع وأرى)**.

وقال رسول الله ﷺ: **[إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، وحجابه النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره]**، وفي رواية: **[حجابه النور]**.

قال ابن الأثير: سبحات الله جلاله وعظمته، والمعنى: لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خرّ موسى عليه السلام صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما تجلى الله سبحانه وتعالى.

وقال النووي: والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

وفي حديث الإيمان قال: **[يا محمد ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك]**[3].

ومعنى البصير: أي أحاط بصره بجميع المبصرات، فهو سبحانه يشاهد ويرى كل شيء وإن خفي قريباً أو بعيداً، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار، كما قال ابن القيم:

وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى مناط عروقها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان

وقال الله سبحانه وتعالى: **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** (التوبة:١٠٥).

أي قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المنافقين: اعملوا ما شئتم من الأعمال، واستمروا على باطلكم فلا تحسبوا أن ذلك سيغفر، فلا بد أن يبين عملكم ويتضح.

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: **[لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس باب ولا كوة لأخرج الله تعالى عمله للناس**

١- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٨٠). ٢- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٨٣-٨٤).

٣- أخرجه مسلم. الأسماء والصفات ص(١٧٨-١٨١).

كائناً ما كان}.

وقال مجاهد: هذا وعيد -يعني من الله- للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى المؤمنين، وهو كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال تعالى: **{يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}** (الحاقة: ١٨)[1]

الكلام:

قال الله جل ثناؤه: **{قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً}** (الكهف:١٠٩). **{ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله}** (لقمان: ٢٧). **{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله}** (التوبة: ٦). **{يسمعون كلام الله ثم يحرفونه}** (البقرة: ٧٥). **{يريدون أن يبدلوا كلام الله}** (الفتح: ١٥). **{واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته}** (الكهف:٢٧). **{لا تبديل لكلمات الله}** (يونس: ٦٤). **{ويريد الله أن يحق الحق بكلماته}** (الأنفال: ٧). **{ويحق الله الحق بكلماته}** (يونس: ٨٢). **{إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون}** (يونس: ٩٦). **{وتمت كلمة ربك الحسنى}** (الأعراف:١٣٧).

وروى مسلم في الصحيح: **{تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيل الله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة}.**

وكلمات الله تعالى لا تنتهي إلى أمر، ولا تحصر بعد، وقد نفى الله تعالى عنها النفاد كما نفى عن ذاته الهلاك، والمراد بالخبر ضرب المثل دلالة على الوفور والكثرة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **{كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ثم يقول ﷺ: كان أبوكم يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام}**[2].

وقال رجل: يا رسول الله لدغتني عقرب، فقال رسول الله ﷺ: **{لو أنك قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك}**[3].

وقال عز وجل: **{فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم}** (النحل:٩٨).

ولا يصح أن يستعيذ بمخلوق من مخلوق، فدل أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته، وأمر أن يستعاذ بصفة من صفات ذاته، وهي غير مخلوقة، كما أمره الله تعالى أن يستعيذ بذاته وذاته غير مخلوق.

وعن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول عند مضجعه: **{اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم، اللهم لا ينهزم جندك ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك}.**

قلت: فاستعاذ رسول الله ﷺ في هذا الخبر بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم، فكما أن وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق، فكذلك كلماته التي استعاذ بها غير مخلوقة، وكلمات الله تعالى واحد، وإنما جاء بلفظ الجمع على معنى التعظيم والتفخيم، كقوله تعالى: **{إنا نحن نزلنا الذكر}** (الحجر: ٩). **{فقدرنا فنعم القادرون}** (المرسلات:٢٣).

وإنما سماها تامة لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه عيب أو نقص كما يكون ذلك في كلام الآدميين[4].

[5]وعن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق، قال: وذلك لأنه ما من مخلوق إلا وفيه نقص.

أما الإيمان بصفة الكلام لله عز وجل فهو:

الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام قديم النوع، حادث الآحاد، وأنه لم يزل يتكلم، ولا يزال يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من الله من غير واسطة، ومن أذن له من ملائكته

١- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٨٤ -٨٦).

٢- رواه البخاري، الأسماء والصفات للبيهقي ص(١٨١-١٨٤).

٣- رواه مسلم في الصحيح عن عيسى بن حماد.

٤- الأسماء والصفات البيهقي ص(١٨٥-١٨٦).

٥- في الأصل (ويلغني) ولعلها زيادة والله أعلم.

ورسله، ويكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة.

يقول ابن القيم:

والله ربي لم يزل متكلماً ... وكلامه المسموع بالآذان

صدقاً وعدلاً أحكمت كلماتـه ... طلباً وإخباراً بلا نقصان

كلام الله بلا واسطة: فكلامه لموسى ولآدم وحواء وجبريل.

كلام الله بواسطة: إما بالوحي للأنبياء، وإما بإرساله إليهم رسولاً يكلمهم من أمره بما شاء. **(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب)**(الشورى:٥١)

الكوني القدري: فهو الذي توجد به الأشياء. **(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)** (يسن:٨٢).

الديني الشرعي كقوله: **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان)** (النحل: ٩٠).

والشرعي: هو الذي منه الكتب المنزلة على رسل الله عليهم الصلاة والسلام[١].

الحي:

قال تعالى: **(هو الحي لا إله إلا هو)** (غافر: ٦٥). **(وتوكل على الحي الذي لا يموت)** (الفرقان: ٥٨). **(وعنت الوجوه للحي القيوم)** (طه: ١١١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: **{اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون}**[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: **{من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفر له وإن كان فرّ من الزحف}**.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان دعاء النبي ﷺ: **{يا حي يا قيوم}**[٣].

فصفة الحياة ثابتة وهي من الصفات الذاتية، فحياته سبحانه أكمل حياة وأتمها، ويستلزم ثبوتها ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وخصص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي هو الذي يوثق به في المصالح، ولا حياة على الدوام إلا لله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم، فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم[٤].

ولذا كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله لما اشتملت عليه من الأسماء والصفات، فقد اجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها.

والحي: هو الباقي الذي لا سبيل للفناء عليه.

وورد أن اسم الحي واسم القيوم الإسم الأعظم، فإنهما متضمنان لصفات الكمال أعظم تضمن، فالصفات الذاتية ترجع إلى اسمه الحي، والصفات الفعلية ترجع إلى اسمه القيوم.

قال ابن القيم:

وله الحياة كمالها فلأجـل ذا ... ما للممات عليه من سلطـان

وكذلك القيوم مـن أوصافـه ... ما للمنام لديه من غشيـان

وكذاك أوصاف الكمال جميعهـا ... ثبتت له ومدارها الوصفـان

فمصحح الأوصـاف والأفـعال ... والأسماء حقاً ذانك الوصفـان

ولأجـل ذا جـاء الحديث بأنـه ... في آية الكرسي وذي عمـران

اسم الإله الأعظم اشتمالاً على ... اسم الحي والقيوم مقترنـان

فالكل مرجعها إلى الإسمين يدري ... ذاك ذو بصـر بهـذا الشان[٥]

١- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(١٨٣-١٨٥). ٢- رواه البخاري عن أبي معمر، ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي معمر.

٣- الأسماء والصفات ص(١١١-١١٣).

٤- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٦٦).

٥- الأسئلة والأجوبة الأصولية ص(٦١-٦٢).

القيوم:

قال الله عز وجل: **(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)**، **(الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم)**.

وقال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: **[ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين]**.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **[من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، كفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر]**[1].

والقيوم: هو القائم بنفسه المقيم لما سواه.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان.. فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح[2].

ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل عليه لفظ القديم، ويدل أيضاً على كونه موجوداً بنفسه، وهو معنى كونه واجب الوجود، والقيوم أبلغ من القيّام، والقيوم: متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى غيره[3].

الخالق:

قال تعالى: **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)** قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في الجامع الصحيح: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثوني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب: والطور، فلما بلغ هذه الآية:

(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)(الطور: ٣٥-٣٦) كاد قلبي أن يطير.

وقال بعض أهل اللغة: ليس هم بأشد خلقاً من خلق السموات والأرض، لأن السموات والأرض خلقتا من غير شيء وهم خلقوا من آدم، وآدم خلق من تراب.

وقيل: **(أم خلقوا من غير شيء)** فوجدوا بلا خالق[4]؟

وقال تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)**.

وقال ﷺ من حديث أبي ذر رضي الله عنه: **[يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا]**[5].

الرازق:

قال الله تعالى: **(ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)**. **(يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)** (فاطر: ١٥). **(والله الغني وأنتم الفقراء)**(محمد: ٣٨). **(قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)**[6].

فيخبرنا الله تعالى بأنه المتفرد بالرزق لا رازق سواه ولا معطي غيره، فما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، وأوصل رزقه إلى جميع العالم.

والرزق قسمان:

الأول: (الرزق المطلق) وهو ما استمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو رزق القلوب، والعلم، والإيمان، والرزق الحلال.

والثاني: مطلق الرزق العام لسائر الخلق برهم وفاجرهم والبهائم وغيرها، وهو إيصال القوت إلى كل مخلوق، وهذا يكون من الحلال والحرام والله رازقه.

١- الأسماء والصفات ص(١١١-١١٣). ٢- الأسئلة والأجوبة الأصولية -عبد العزيز السلمان- ص(٦١-٦٢). ٣- شرح العقيدة الطحاوية ط(٤) ص(١٢٤).
٤- الأسماء والصفات ص(٣٩٠-٣٩١). ٥- شرح العقيدة الطحاوية ط(٤) ص(١٢٥) ٦- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٧٥).

قال ابن القيم:

وكذلك الرزاق من أسمائه ... والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله ... نوعان أيضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان ... والرزق المعد لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا ... رازقه والفضل للمنان
والشان سوق القوت للأعضاء في ... تلك المجاري سوقها بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكون ... من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبار ... وليس بالإطلاق دون بيان[1]

الوجود:

قال الله تعالى: **{الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش}** (الرعد:٢).

{وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون} (الملك:٧٨).

فهذه الآيات تنبئك بوجود الله تعالى، وتستدل عليه بما ترى من تصرفاته في شؤون هذا الكون العجيب[2].

ومعلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى الخالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه.

وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك[3].

روى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: **[قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد]**[4].

روى أبو نعيم بسند حسن عن حذيفة مرفوعاً: **[إن مما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رئيت عليه بهجته وكان رداً للإسلام، غيره الله إلى ما شاء، فانسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وخرج على جاره بالسيف، ورماه بالشرك، قلت يا رسول الله أيهما أولى بالشرك، الرامي أم المرمي؟ قال: بل الرامي]**.

قال ابن دقيق العيد: إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف، وإن كان من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، وإن اختلف الأمران فالاختلاف في جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية، والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين[5].

قال النووي في شرح مسلم: والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

[اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين][6].

١- الأسئلة والأجوبة ص(٧٥-٧٦).

٢- مجموعة الرسائل -رسالة العقائد- ص(٤٥٥-٤٥٦).

٣- شرح العقيدة الطحاوية ص(١٠٢)، فتح الباري (٣٧٠/١٠) تفسير سورة الصمد.

٤- أهل السنة والجماعة ثلاث فرق كما قال السفاريني (٧٣/١) من شرح لوامع الأنوار البهية، هم -الأثرية- ابن حنبل، والأشعرية، والماتريدية.

٥- فرقان القرآن ص(٩٦).

٦- حديث في المسند والسنن مدارج السالكين (٢٢٢/٣)، حاشية الأسماء ص(١٨١).